

شاهد على العصر

عبد الوهاب المسيري

مع

عمر بطيشة

شاهد على العصر

عبد الوهاب المسيري

الكتاب: شاهد على العصر / عبد الوهاب المسيري

المؤلف:بطيشة، عمر

النوع: برامج الإذاعة

تصميم الغلاف: جيهان متولي

إخراج داخلي: بثينة عزام

الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١

عــدد الصفحات: ١٥٢صفحة

المقاس: ١٤×٢٠

تدمك:

١- برامج الإذاعة

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) بـرج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(+٢)

البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com

الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com

رقـم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٨٣٦

الترقيم الدولي: 978-977-6382-47-7

ديوي ٧٩١,٤٤

شاهد على العصر

عبد الوهاب المسيري

مع

عمر بطيشة



مقدمة الناشر

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهمية هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًّا على مضمونها وهو «شاهد على العصر». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت نقاطًا فارقة ومنعطفات تاريخية

مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة -تحديدًا- تزداد أهميتها لكون الشاهد أحد المفكرين الذين تركوا لنا أثرًا لا ينسى من ذاكرة التاريخ وصاحب موسوعة هي من أشهر موسوعات العصر الحديث، إنه المفكر اليساري عبد الوهاب المسيري.

الناشر


سيرة ذاتية
عبد الوهاب المسيرى

عبد الوهاب المسيري

(أكتوبر ١٩٣٨ - ٣ يوليو ٢٠٠٨) مفكر مصري يساري، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية إحدى أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين، والتي استطاع من خلالها -برأي البعض- إعطاء نظرة جديدة موسوعية موضوعية علمية للظاهرة اليهودية بشكل خاص، وتجربة الحداثة الغربية بشكل عام، مستخدمًا ما طوّره أثناء حياته الأكاديمية من تطوير مفهوم النماذج التفسيرية، أما برأي البعض الآخر فقد كانت رؤيته في موسوعته متحيزة لليهود، ومتعاطفة إلى حد كبير مع مواقفهم تجاه غير اليهود، بل وصفها البعض بأنها تدافع عن اليهود.

ولد عبد الوهاب المسيري في مدينة دمنهور في مصر في أول عام ١٩٣٨، تلقى تعليمه الأوَّليَّ (الابتدائي والثانوي) في مقر نشأته، وفي عام ١٩٥٥ التحق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وتخرج فيها عام ١٩٥٩، وعُيِّنَ فيها معيدًا عند تخرجه.

سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ حيث حصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة (كولومبيا) بمدينة نيويورك عام ١٩٦٤، وعلى الدكتوراه من جامعة (رتجرز) بنيوجيرزي عام ١٩٦٩.

عند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس، وفي عدة جامعات عربية من أهمها جامعة الملك سعود (١٩٨٣ ـ ١٩٨٨)، كما عمل أستاذًا زائرًا في أكاديمية ناصر العسكرية، والجامعة الإسلامية العالمية في (ماليزيا)، وعضو مجلس الخبراء في مركز الدراسات السياسية، والاستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥)، ومستشارًا ثقافيًّا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك (١٩٧٥ ـ ١٩٧٩)، وهو عضو مجلس الأمناء في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بـ(بليسبرغ)، بولاية (فرجينيا) في الولايات المتحدة الأميريكية.

صدرت له عشرات الدراسات، والمقالات عن إسرائيل، والحركة الصهيونية، ويُعَدُّ واحدًا من أبرز المؤرخين العالميين المتخصصين في الحركة الصهيونية.

نشاطه السياسي

كان المسيري لفترة قصيرة في بداية حياته منتميًا إلى الإخوان المسلمين، ثم انتمى إلى اليسار المصري وتحديدًا للحزب الشيوعي، وقبل وفاته شغل منصب المنسق العام لحركة (كفاية)[1] التي تأسست في نهاية ٢٠٠٤ للمطالبة بإصلاح ديمقراطي في مصر، ونظمت سلسلة تظاهرات احتجاجًا على إعادة انتخاب الرئيس المصري حسني مبارك لولاية خامسة في ٢٠٠٥، وقد تعرّض للاعتقال من قبل السلطات المصرية أكثر من مرة.

المؤهلات

- ليسانس آداب - أدب إنجليزي- جامعة الإسكندرية (١٩٥٩م).

---

[1] الحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية): هي تجمع فضفاض من شتى القوى السياسية المصرية، وتهدف إلى تأسيس شرعية جديدة في مصر بعد تنحية نظام حسني مبارك عن السلطة.

ركَّزتِ الحركة -منذ بدايتها- على رفضها للتجديد للرئيس حسني مبارك لفترة رئاسة خامسة، ورفضها ما رأته من مناورات سياسية، وتشريعية، وإعلامية هدفها التمهيد لتولي ابنه جمال مبارك الرئاسة من بعده، فرفعت شعارَيْ (لا للتمديد) (لا للتوريث).

- ماچستير في الأدب الإنجليزي، والمقارن ــ جامعة كولومبيا ـ الولايات المتحدة الأميريكية (١٩٦٤).
- دكتوراه في الأدب الإنجليزي، والأميريكي، والمقارن ـ جامعة رتجرز بنيوجيرزي الولايات المتحدة الأميريكية (١٩٦٩).
- رئيس وحدة الفكر الصهيوني وعضو مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية، والاستراتيجية بالأهرام (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥).
- المستشار الثقافي للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (١٩٧٥ ـ ١٩٧٩).
- أستاذ الأدب الإنجليزي، والمقارن ـ جامعة عين شمس (١٩٧٩ ــ ١٩٨٣)، وجامعة الملك سعود (١٩٨٣ ــ ١٩٨٨)، وجامعة الكويت (١٩٨٨ ــ ١٩٨٩)، وكان يعمل أستاذًا غير متفرغ بجامعة عين شمس (١٩٨٨ ـ ٢٠٠٨)، كما عمل أستاذًا زائرًا بالجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا) في (كوالالمبور)، وبأكاديمية ناصر العسكرية.

- المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن (١٩٩٢ ـ ٢٠٠٨).
- عضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية، والاجتماعية في ليسبرج في فيرچينيا بالولايات المتحدة الأميريكية (١٩٩٣ ـ ٢٠٠٨).
- عضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية، والاجتماعية -واشنطن- الولايات المتحدة الأميريكية (١٩٩٧-٢٠٠٨).
- مستشار تحرير عددٍ من الحَوْليات التي تصدر في مصر، وماليزيا، وإيران، وأميركا، وإنجلترا، وفرنسا.

شخصيته

كانت الدكتور عبد الوهاب المسيري شخصية هادئة، وكان يتقبل أيَّ نقدٍ يوجه إليه مهما بلغت حدَّتُه، ولم يُشَاهَدْ قَطُّ في حياته منفعلًا أو عصبِيًّا، كانت الابتسامة الهادئة الواثقة لا تفارق وجهه الذي كان يتسم بالبراءة.

من أقواله

- «إنَّ الإيـمانَ لم يُولـدْ داخِلِي إلا مـن خـلال رحلـة طويلـة وعميقة، إنه إيمانٌ يستند إلى رحلة عقلية طويلة، ولـذا فإنـه إيمانٌ عقليٌّ لم تدخل فيه عناصرُ رُوحِيةٌ فهو يستند إلى عَجزِ المقولات المادِّية عن تفسير الإنسان، وإلى ضرورة اللجوء إلى مقولات فلسفية أكثر تركيبية».
- «أنا ماركسيٌّ على سنة الله ورسوله».
- «إن الطبيعـة الوظيفيـة لإسرائيـل تعنـي أن الاسـتعمار اصطنعها لتقوم بوظيفة معينـة فهـي مشروع استعماري لا علاقة له باليهودية».
- «اليهود ليسوا متآمرين بطبعهم».
- «كـما أن أيَّ إنسـانِ ثـوريٍّ لا يمكـن إلا أن يـؤمن بالعقـل التوليدي القادر على تجاوز الواقع المادي القائم».
- «المثقف لابد أن يكون في الشارع».

- «أُفَكِّكُ المفردات الصهيونية، والمصطلحات حتى أُبَيِّنَ التحيزات التي فيها، فلا يتقبلها القارئ العربي بسذاجة، أو ببراءة»

الأعمال المنشورة بالعربية

- **للمسيري أعمال كثيرة نُشِرت باللغة العربية، منها:**
- نهاية التاريخ: (مُقدمةٌ لدراسة بنية الفكر الصهيوني) جاء هذا الكتاب في عام ١٩٧٢ قبل ثمانية وعشرين عامًا من تأليف المفكر الأميركي (فرانسيس فوكوياما)[٢] لكتاب

---

[2] **يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما**: كاتب ومفكر أميركي الجنسية من أصول يابانية، ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٥٢ م، يُعدُّ من أهم مفكري المحافظين الجدد، من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، و(الانهيار أو التصدع العظيم)، ويعتبر من أحد الفلاسفة، والمفكرين الأميركيين المعاصرين، فضلًا عن كونه أستاذًا للاقتصاد السياسي الدولي، ومديرًا لبرنامج التنمية الدولية بجامعة (جونز هوبكنز).

تخرج فوكوياما في قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كورنيل، حيث درس الفلسفة السياسية على يد (ألن بلووم)، بينما حصل على الدكتوراه من جامعة هافارد حيث تخصص في العلوم السياسية.

عمل بوظائفَ عديدة أكسبته الكثير من الخبرة، والثقافة، فقد عمل مستشارًا في وزارة الخارجية الأميركية كما عمل بالتدريس الجامعي.

يحمل نفس العنوان، لكنَّ الفرق بين النظرتين أن رؤية (فوكوياما) تُعِدُّ نهايةَ التاريخ انتصار الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي، بينما يرى المسيري أن نهاية التاريخ فاشِيَّةٌ اخترعتها الدول الغربية للسيطرة على العالم.

- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية.
- العنصرية الصهيونية (سلسلة الموسوعة الصغيرة).
- اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار، وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع.
- مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي: النصوص الأساسية، وبعض الدراسات التاريخية والنقدية.
- الفردوس الأرضي: دراسات، وانطباعات عن الحضارة الأميريكية.
- الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة.
- الغرب والعالم: تأليف كيفين رايلي (ترجمة بالاشتراك).

- الانتفاضة الفلسطينية، والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك، والكرامة.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.

الأعمال المترجمة

- **وله عدة أعمال مترجمة إلى لغات أخرى، ومنها:**
- صهيونيسم: ترجمة (لواء رودباري).
- ترجمة إلى الفارسية لكتاب موسوعة تاريخ الصهيونية.
- ترجمة إلى اللغة البرتغالية لكتاب إسرائيل، وجنوب أفريقيا: تطور العلاقة بينهما.
- ترجمة إلى اللغة التركية لدراسة طويلة باللغة الإنجليزية بعنوان «نحو نموذج أكثر شمولية، وتركيبًا للعلمانية».

وقد تُرجمت العديد من المقالات التي كتبها الدكتور المسيري إلى لغات أخرى مثل الفرنسية، والبهاسا.

مقالات في الجرائد، والمجلات، والحوليات

كتب الدكتور المسيري شتى المقالات باللغتين العربية والإنجليزية للجرائد مثل: الأهرام ـ الحياة ـ الشرق الأوسط ـ

الشعب ـ منبر الشرق ـ الإنسان ـ قراءات سياسية ـ شئون فلسطينية ـ العربي، وفي جرائد، ومجلات، وحوليات عربية، وبريطانية، وأميريكية أخرى.

وفاته

تُوُفِّيَ فجرَ يومِ الخميس ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ الموافق ٣ يوليو ٢٠٠٨ بمستشفى فلسطين بالقاهرة عن عمر يناهز السبعين عامًا بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وشُيِّعَت جِنَازَتُه ظهرًا من مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر بالقاهرة، وشارك في صلاة الجِنَازَةِ آلاف المصريين، إضافة إلى عشرات العلماء، والمفكرين،

وعلى رأسهم الشيخ الدكتور (يوسف القرضاوي)[٣]، والمفكر المصري المعروف (فهمي هويدي)[٤]، والدكتور (محمد سليم العوَّا)[٥]، والداعية (عمرو خالد)[٦].

---

[3] **يوسف عبد الله القرضاوي**: (٩ سبتمبر ١٩٢٦) ولد في قرية (صفط تراب) مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر، عالم دين مسلم، حفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، والتحق بالأزهر الشريف حتى تخرج من الثانوية، وكان ترتيبه الثاني على مملكة مصر -حينما كانت تخضع للحكم الملكي-، التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالمية سنة ١٩٥٣، وكان ترتيبه الأول بين زملائه، وعددهم مائة وثمانون طالبًا، حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من خريجي الكليات الثلاث بالأزهر، وعددهم خمسمائة، حصل يوسف القرضاوي على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب في سنة ١٩٥٨، لاحقًا في سنة ١٩٦٠ حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وفي سنة ١٩٧٣م حصل على (الدكتوراة) بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من نفس الكلية، وكان موضوع الرسالة عن "الزكاة، وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية".

[4] **فهمي هويدي**: كاتب، ومفكر إسلامي مصري ذو اتجاه قومي عربي، ويُعَدُّ من أبرز المفكرين الإسلاميين المعاصرين، من مواليد عام ١٩٣٧.

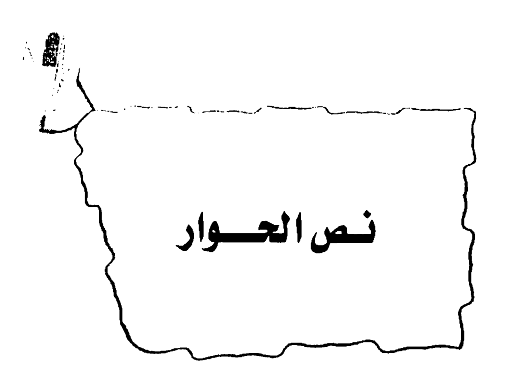
من أهم الكُتَّاب المصريين الذين يدور حولهم جدل واسع بسبب تجاوزهم الخطوط الحمراء في كثير من كتاباتهم، تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٦٠، والتحق بقسم الأبحاث في

جريدة الأهرام القاهرية من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٥ حيث قضى فيها ثمانية عشر عامًا تَدرَّج خلالها في مواقع العمل إلى أن صار سكرتير تحرير الجريدة.

انضم منذ ١٩٧٦ إلى أسرة مجلة العربي الكويتية، وأصبح مديرَ التحرير فيها، وتخصص منذ سنوات في معالجة الشؤون الإسلامية حيث شارك في كثير من ندوات، ومؤتمرات الحوار الإسلامي، وقام بزيارات عمل ميدانية إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي في آسيا، وأفريقيا، وتولى التعريف بها في سلسلة استطلاعات مجلة العربي، تولى بعد ذلك رئاسة تحرير مجلة "أرابيا" الإنجليزية التي كانت تصدر في إنجلترا عام ١٩٨٣ لعدة أعوام قبل أن يتخذ قرار العودة نهائيًا إلى مصر عام ١٩٨٥، ليعود إلى صحيفة الأهرام، وينشر مقالًا أسبوعيًا كل ثلاثاء استمر دون انقطاع حتى عام ٢٠٠٨.

(5) **محمد سليم العوَّا**: مفكر إسلامي مصري، يشغل منصب الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس جمعية مصر للثقافة والحوار، يتميز فكره بالاعتدال، والتركيز على الحوار، وليس الصدام بين العالم الإسلامي والغرب، حصل الدكتور العوَّا على دكتوراه في الفلسفة (في القانون المقارن) من جامعة لندن عام ١٩٧٢، له أكثر من مائة مقال في المجلات العلمية، والمجلات الدينية والثقافية، والصحف السيارة، وشارك في عشرات المؤتمرات، والندوات العلمية القانونية، والإسلامية، والتربوية في شَتَّى أنحاء العالم، نال عدة جوائز علمية، ودعوية، وخيرية، منها جائزة حاكم عجمان للشخصيات العالمية، والدعوية عام ٢٠٠٠.

(6) **عمرو محمد حلمي خالد**: (٥ سبتمبر ١٩٦٧ الإسكندرية) داعية إسلامي، يعرف باسم عمرو خالد، كانت بداية حياته الدعوية في مصر مع بداية القرن الحالي، ثم ذاع صيته في جميع أنحاء الدول العربية والإسلامية، حصل على بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة عام ١٩٨٨، وعمل بأحد مكاتب المحاسبة لمدة سبع سنوات، ثم افتتح مكتبَ محاسبة خاصًا به، وحصل على ليسانس الدراسات الإسلامية، وحصل على درجة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية تحت عنوان "الإسلام، والتعايش مع الغرب" من جامعة ويلز ببريطانيا ١٩ مايو ٢٠١٠.



نص الحوار

المفكر الكبير الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب المسيري الأستاذ بجامعة عين شمس أهلا بك شاهدًا على العصر◆.

أهلًا ومرحبًا.

المنهج التفكيكي

اشتهرتَ في منهجك بالتفكيكية، فلو فكّكنَا صدرَ الشهادة على العصر في عناوينَ سريعةٍ سوف نتعرض لها، فماذا تقول في رؤيةٍ عامَّةٍ لهذا العصر؟

أولًا فيما يتعلق بمنهجي، فأنا أُفكِّكُ وأُرَكِّبُ، أو أُعيد التركيب، لأنَّ التفكُّكِيِّينَ يقومون بالتفكيك فقط، ومن ثَمَّ نجدُ أنهم يتّجهون اتجاها عَدَمِيًّا يحطمون فيه كل شيء، أنا أفكك ثم أعيد التركيب بما يتّفق مع رؤيتي، فعلى سبيل المثال تعريف الصهيونية بأنها (حركة قومية لتحرير الشعب اليهودي)، أقوم بتفكيك هذا لإظهار تَحَيُّزِهِ ثم أُعيدُ التركيب بأن أطرح تعريفي، فأنا أُعَرِّفُ الصهوينية بأنها (حركة استيطانية، إحلالية) وهكذا،

◆ أذيع هذا الحوار عام ١٩٩٩م.

فالتفكيك بمفرده لا يكفي، ومن ثَمَّ عندما أَصْدَرتُ موسوعة ١٩٧٥ كان العنوان الجانبي فيها "رؤية نقدية" أي أنها كانت تفكيكية، وحينما بدأت تحديثها اكتشفت هذا، ومن ثم استغرق مني إعادة، أو تحديث موسوعة ما يزيد عن ربع قرن، لأن التركيب والتأسيس يحتاج وقت أطول بكثير من التفكيك، وبعد هذه المقدمة المنهجيّة يمكن أن أتحدّث على هذا العصر.

السمة الأساسية لهذا العصر هو ما أُسمِّيه (منظومة الحداثة الغربيّة)، وهذه المنظومة اكتسحتِ الجميع بما فى ذلك الإنسان الغربي نفسه، وهى منظومة مبنية على الاستخدام العملي للتكنولوجيا، ليس هذا فحَسْب، ولكنَّ العلمَ والتكنولوجيا منفصلان عن القيمة، وهذه المسألة أساسية في تعريف الحداثة، ويقتصر معظم الدارسين على النصف الأول فى استخدام العلم، والتكنولوجيا، وأنا كمسلم وعربي وإنسان لا أعارض في هذا، فلابد من استخدامهما سويًا، لكنَّ النصف الثاني هو المسكوت عنه، وهو استخدام العلم والتكنولوجيا المنفصلين عن القيمة، فهذا ما يجب أن نبينه أيضًا لأن هذه هي ميزة الحداثة.

العولمة، وفكرة التقدم الغربي

كيف يُمكِنُ إقرانُ القيمة بالتكنولوجيا؟ فهذه مسألة مادية بحته، أما القيمة فهي مسألة معنوية.

هذه هي الإشكالية الكبرى التي تواجه الإنسان الحديث، وعندما كنت مع الأستاذ محمد سيد أحمد في الأسبوع الماضي، وأخبرني أن العلم قادر الآن على هدم الكرة الأرضية لأول مرة فى تاريخه، وأضاف قائلًا، إنَّ ما يمكن أن نفعله دائـمًا إذاء تلك الظروف، وهكذا؛ فهي إشكالية تُجَابِهُ الإنسان لأول مرة، تجابهه مثلًا في المشكلة البيئية، لأنَّ مفهوم التقدم الغربي كان مبنيًّا على أنَّ التقدم لا نهائي، وأن المصادر الطبيعية لا نهائية، وقد ثبت تزييف هذا من خلال التطبيق، وثبت مثلًا أن المصادر الطبيعية أخذت في التآكل، انظر مثلًا فصول الصيف الحارة التي نقضيها الآن في القاهرة فهذا هو الإحساس المباشر، وهناك الإحساس الغير مباشر وهو طبقات الأوزون، والثلوث، والتصحّر؛ كل هذه ظواهر يواجهها الإنسان لأول مرة، لأن العلم قد حوّل الإنسان إلى ظاهرة

عالمية متراكمة متشابكة، ومن هنا كانتِ العولمة[٧] فهذا جانب حقيقي.

كيف يمكن أن نفعل، عندنا مثلًا الآلات التي تساعد على التقدّم، لكننا اكتشفنا أن التقدم العلمي يؤدي إلى ما أُسمِّيه التخلف الكوني بمعنى أن الإضافة العلمية تعني حذف إنساني، وحذف كوني فماذا نفعل فى هذا؟

إذن هي عملية جمع وطرح، جمع من ناحية، وطرح من ناحية أخرى، أليس كذلك؟

---

[7] **العولمة**: هي مصطلح يشيرُ المعنى الحرفيُّ له إلى تلك العملية التي يتم فيها تحويل الظواهر المحلية، أو الإقليمية إلى ظواهر عالمية، ويمكن وصف العولمة -أيضًا- بأنها عملية يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع واحد لكي تتضافر جهودهم -معًا- نحو الأفضل.

تمثل هذه العملية مجموع القوى الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والتكنولوجية، وغالبًا ما يستخدم مصطلح (العولمة) للإشارة إلى العولمة الاقتصادية؛ أي تكامل الاقتصاديات القومية، وتحويله إلى اقتصاد عالمي من خلال مجالات مثل التجارة، والاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتدفق رؤوس الأموال، وهجرة الأفراد، وانتشار استخدام الوسائل التكنولوجية.

بلى، ومن هنا طُرحت الفكرة البيئية لأول مرة في الغرب نفسه، وهي أنه من الضروري أن نحافظ على توازن البيئة، مثلًا: العلم في السابق كان مبنيًّا على مفهوم أنه كلما ازدادت رقعة المعلوم نقصت رقعة المجهول، ما يحدث الآن أن رقعة المعلوم تزداد ورقعة المجهول تزداد بدرجة أكبر.

كما يقول الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي[٨] عن المثل الذي يقول (إذا عُرف السبب بطل العجب)، يقول بالعكس (إذا عُرف السبب زاد العجب).

---

[8] **الدكتور يحيى الرخاوي**: طبيب نفسي، وأديب مصري ولد عام ١٩٣٣، ويعمل أستاذًاللطب النفسي بكلية طب القصر العيني بجامعة القاهرة، حصل على بكالوريوس الطب، والجراحة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٧، ثم دبلوم الأمراض الباطنة سنة ١٩٥٩، ودبلوم الأمراض النفسية والعصبية سنة ١٩٦١، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الأمراض النفسية والعصبية من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣، ورُقِّيَ أستاذًا للطب النفسي سنة ١٩٦٩، رأس جمعية الطب النفسي التطوري والجماعي، ومن مؤلفاته العلمية:

علم النفس تحت المجهر.

مبادئ الأمراض النفسية.

حصل الدكتور يحيى الرخاوي على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب عن روايته "المشي على الصراط" سنة ١٩٧٩.

((●)) بالفعل هذه ملحوظة جيدة للغاية، وأوافق عليها؛ فالتجارب العلمية مثلًا مبنية على أن تضبط كل العناصر معمليًّا. حينما نقوم الآن بتطبيق أي دواء على الواقع، من الواضح أننا غير قادرين على ضبط كل العناصر معمليًّا؛ لأن الإنسان شخصية مركبة جدًّا.. نفسيًّا، وفيزيقيًّا.

البيئة ثبت أنها ما يسمى «الأيكوسيستم»، والنظام البيئي مركّب لدرجة أنه حينما تَبْنِي خزَّانًا مثلًا فأنت تؤثر في السحب، وتؤثر على مسار المياه، وتؤثر على الأسماك، هذا ما نراه فقط، ولكنَّ هناك عناصرَ أيضًا لا نراها تؤثر في القشرة الأرضية كالزلازل، والعادم النووي الذي لم يكتشفوا طريقةً للتخلّص منه حتى الآن، فمثلًا لو وضعوها على بعد كيلو مترات في أريزونا(٩)، وقالو إنها لا يمكن أن تتسرب قبل مائتين وخمسين ألف سنة، وتسربت بعد عامين فقط، ويبدو أنهم حاولوا دراسة طريقة التسرب فوجدوا أنها

---

(9) **ولاية أريزونا**: هي ولاية أميركية تقع في المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة، وتعتبر فونيكس عاصمتها، وأكبر مدينة فيها.

مثل بصمات الأصابع تختلف من مكان إلى آخر، ومن ثم عملية رصدها، ومحاولة التعميم منها للاستفادة مسألة مستحيلة، وكما أقول أننا ارتطمنا بحائط كَونِيٍّ يجعل من الضروري علينا الآن أن نعيد النظر في الحداثة الغربيّة، ونبحث عن حداثة جديدة، أنا لا أقول أننا يجب أن نستنكر الغرب، أو نستنكر الحداثة الغربية لكن يجب أن ندرس ما وقع فيه من مشاكل، ولا نتقدم ببلاهة شديدة نحو المستقبل نحمل الأسلحة الغربيّة، والنماذج الغربية التي أَوْدَتْ بالكرة الأرضية، وستُودِي بنا إن قرَّرنا، أو إن اصرَرْنَا على تجاهل هذا، فأنا أعتقد أنَّ هذه هي السمة الأساسية لهذا العصر، إن الحداثة الغربية هي المعيار الأساسي، والحداثة الغربية -الآن- تمارس أزمة، ويعطينا هذا فرصة ذهبية أن ندرس الحداثة الغربية، وندرس متتاليات الحداثة الغربية، وندرس نتائجها ثم نطور حداثة تنفعنا، وتنفع بقية البشر، وتنفع الإنسان الغربي نفسه.

هذا يعني أنه لابد من تقليل الاستهلاك، فمنظومة الحداثة الغربية مبنية على مفهوم معين.

على مفهوم الاستهلاك.

حقًّا؛ وكلَّما زاد الاستهلاك زادتِ السعادة، ويجب إعادة تعريف السعادة الإنسانية، وفصلها عن الاستهلاك، وأن يتفق بهيئة الأمم المتحدة على حد الكفاف، هذا هو الأدنى المطلوب توفيره للبشر.

لكن الأمر يختلف حتى داخل الفرد - الذي تُعِدُّهُ بالدولار هيئةُ الأُمم، وصندوقُ النقد الدولي، والهيئات الدولية- من دولة إلى أخرى ، فكيف نُوحِّدُ حدَّ الكفاف؟

حد الكفاف يمكن تقييده، حد الاستهلاك هو الذي لم يُحدَّد حتى الآن، فالولايات المتحدة الأميركية، وأوروبا يشكلون ٢٠٪ من سكان العالم، ويستهلكون ٨٠٪ من المصادر الطبيعية في الواقع من منظور الاستهلاك، وأكثر الدول ازدحامًا في العالم هي الولايات المتحدة لأن كل مواطن أميركي يستهلك ما يعادل استهلاك ألف مواطن هندي، فمعنى ذلك أنه يوجد في الولايات المتحدة اثنان بليون فرد وسقف الاستهلاك لم يحدد بعد، فأنا حينما

أتحدث عن السقف الأدنى وهو الكفايات، أتحدث -أيضًا- عن تحديد سقف الاستهلاك بحيث إنه لا يوجد داعٍ أن يموت الإنسان الأميركي من الحر في الشتاء، ويموت من البرد في الصيف، وأنا أتذكر جيدًا حينما عشنا في الولايات المتحدة كنا نلبس الملابس الثقيلة في الصيف، لأنَّ التكييف باردٌ جدًّا، ثم نلبس الملابس الصيفية في المنازل، والمكاتب، لأنها كانت حارة بشكل غير عادي.

أكانت حارة في الشتاء؟

نعم... ففي بعض الأوقات تكون درجة الحرارة مرتفعة على غير المعتاد.

الدعوة للحضارة الغربية

لقد ذكَّرْتَنِي ببعض الملاحظات التي وردت في كتابات بعض المحللين الغربيين عن ثقافتها هنا في هذه المنطقة من العالم أن الدعوة للحضارة الغربية، وللأخذ بالعلم والتكنولوجيا بدأت من بعض الرموز الثقافية، والعلمية في مصر والوطن العربي في نهاية القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، ثم خَفَتَتْ صيحاتهم،

وأصبح المطالبون، أو الذين يعمدون إلى تطبيق الحضارة الغربية، أو تقليد الغرب هم الطبقات الشعبية، وأخذ المفكرون موقفًا عكسيًّا، وبدأوا يهاجمون الحضارة الغربية، أو يطالبون بالاستقلالية عنها كما تفعل أنت الآن، ومعك عدد من المفكرين الآخرين؛ هل هذه ملاحظة صحيحة؟

(●) هي لا تنطبق علينا فقط في مصر، وإنما تنطبق عليهم -أيضًا- في الغرب؛ بمعنى أن دعاة البيئة في الغرب أقلية هامشية، فهنالك بعض علماء الاجتماع ذوي المكانة العلمية مثل (زيجمونت باومان)[10]، وغيره أدركوا الكارثة، أوالجوانب المظلمة في الحداثة، فزيجمونت باومان أستاذ في "كامبريدج"[11] لكنَّه هامشي رغم

---

[10] زيجمونت باومان: يعتبر من أهم علماء الإجتماع في الوقت الحاضر حَسْبَ التصنيف الأكاديمي الغربي بالطبع، اهتم زيجمونت بدراسة إنعكاسات (الهولوكوست) على الأفراد، والمجتمعات التي تعرضت لهذه الظاهرة، ويعتبر زيجمونت باومان مؤسس مفهوم ماوراء الحداثة.

[11] جامعة كامبريدج: (بالإنجليزية University of Cambridge) وهي ثاني أقدم جامعة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، تقع في كامبريدج في المملكة المتحدة، وتعتبر من أميز الجامعات في العالم، تأسست عام ١٢٠٩، وهي عضو في مجموعة (راسل)

ذلك، لأن هذا الموقف من العلم يتطلب شكلًا من أشكال المعرفة، ولا يزال الناس يدورون في إطار أن الثلاجة جيدة، وأن السيارة عظيمة، وأنا أتفق معهم، لكن حينما تبين لهم أن السيارة هي أكبر مصدر للتلوث في المدن الكبرى، وأنه في مدينة مثل القاهرة كانتِ السيارة هي المسؤولة عن بطء حركتنا، فهذه المسألة تدعو إلى الدهشة، وكما قال "وولف قانق سكاس" -وهو أحد المفكرين الألمان- حينما تُدِير السيارة فأنت لا تحرك السيارة فَحَسْب، وإنما تحرك آبار البترول، وبواخرَ في العالم، أي منظومة كاملة تتحرك في العلم بأسره، ويجب أن ندرك هذه، من يدركه الآن المثقفون فقط، أما عامة الناس -بلا شك- يتمتّعون بالنتائج المباشرة للعلم مثل

للجامعات، ودائمًا ما يتراوح ترتيبها بين المركزين الأول والثاني بالتناوب مع جامعة أكسفورد العريقة.

حصلتِ الجامعة على واحد وثمانين جائزة نوبل، وذلك أكثر من أية جامعة أخرى في العالم. خَرَّجَتِ الجامعة بعضًا من أهم العلماء في القرون الماضية من بينهم: إسحق نيوتن (نظرية الجاذبية)، تشارلز داروين (نظرية التطور)، ويليام هارفي، ديراك، جوزيف طومسون (مكتشف الإلكترون)، إرنست رذرفورد، جيمز ماكسويل، جيمس واطسون، وفرنسيس كريك (تركيب الـ DNA)، آلان تورينغ، جاكوب، وبرونوفسكي، وغيرهم.

المضادات الحيوية، والسيارات، والثلاجات التي يجب الحفاظ عليهم.

ولذلك نجد العامة منبهرين بالغرب، ويقلّدونهم حتى تجاوز التقليد أنماط العلم، والمعرفة، والتكنولوجيا، والتقدم، إلى التقليد في الزيِّ، والمظهر، والأكل، وأساليب التغذية، وغير ذلك.

هم يتصوّرون أن هذا هو الغرب، بينما الغرب أكثر شمولًا من ذلك، فواجِهَتُهُمْ تنفصلُ عن القيمة الأخلاقية، فهناك التجارب التي تُجرَي في السر على بعض البشر، والنتائج المفجعة لبعض التجارب العلمية، أعتقد أن الكثيرين منهم سيعيدون النظر في رؤيتهم الوردية هذه، فهي رؤية مؤسسة على معرفة بعلم القرن التاسع عشر، وكان علمًا بسيطًا، وعلمًا متعجرفًا لدرجة أن علماء هذا القرن قالوا إنه في خلال ثلاثين عامًا سيمكنهم السيطرة على العالم، ومعرفة كل شيء بلا استثناء، ومن ثمّ نحن لا نحتاج إلى نُظم أخلاقية، ولا نظم دينية، ولا نظم معرفية، لأن العلم يُدخِلُ العالمَ معمله، ويقرر لنا ماذا نفعل؟ وماذا يجب ألا نفعل، وهذا

سيحقق السعادة للبشرية؛ هذه الرؤية سَاذَجَة، ولا يَقُولـُها أيٌّ من العلماء الآن، فعلى سبيل المثال استمعت في الـ "بي بي سي"[١٢] منذ عدة أيام إلى أنه تم فصل أحد العلماء لأنه قال إن الهندسة الوراثية وتطبيقها على الخضراوات يؤدي إلى ضعف جهاز المناعة عند الإنسان، بمعنى أنه أكتشف العلاقة؛ ففصل من مكانه.

فالمسألة ليست حرة تمامًا، فالاحتكارات التي تمول هذا وليدة تجربة مباشرة، ولي صديق مصري كان في جامعة (بيت لحم) في الولايات المتحدة يقوم بعمل بحث عن أثر الميكروويف[١٣]؛ فَوَصَلَ

---

[12] **بي بي سي**: (بالإنجليزية: BBC)، هيئة الإذاعة البريطانية (بالإنجليزية: British Broadcasting Corporation) هيئة إعلامية مستقلة مقرها المملكة المتحدة، تأسست عام ١٩٢٧، أما قبل ذلك فكان اسمها شركة الإذاعة البريطانية، وكانت قد تأسست على يد مجموعة من الشركات الخاصة عام ١٩٢٣، تضم الهيئة الآن شبكة من القنوات، ومؤسسات الإنتاج، وقد أُطلقت في مارس ٢٠٠٨ قناة إخبارية ناطقة بالعربية.

[13] **فرن المايكروويف**: هو أحد الأجهزة الكهرومنزلية التي تُسْتَعمَلُ للطهي، أو لتسخين الطعام عن طريق التدفئة العازلة حيث يستعمل هذا الفرن أشعة الميكروويف، إذ إنها تعمل على تسخين المواد الغذائية فقط على عكس الأفران التقليدية، وذلك لتسخين المياه والجزيئات الأخرى والاستقطاب داخل الغذاء مما يؤدي إلى تسخين الطعام بصورة كافية

إلى نتائجَ سلبيةٍ، فسُحِبَتْ منه كل الأموال، وقد قام تسعةُ عشر عالم في الولايات المتحدة في إنجلترا بكتابة عريضة تؤيد هذا علميًّا، يقولون فيها إنَّ الهندسة الوراثية، وتطبيقها على الخضراوات، وما شابه قد يؤدي إلى هذا، فلابد من التظاهر لإثبات حقيقة علمية وهذا شائن إلى حد كبير.

هكذا وضحت العَلَاقة بين القيمة والعلم والتكنولوجيا، وهذا الجانب السلبي، والآثار الجانبية للتقدم، وكيف يواجهها هذا العصر من خلال فكر مفكريه، ورموزه؟ بعد هذه المقدمة هل هناك ملاحظات أخرى في صدر شهادتك على هذا العصر قبل أن ننطلق إلى حوارنا في صلب الشهادة؟

لا؛ أعتقد أن هذا هو لُبُّ الموضوع لكن يجب ألَّا نُعطيَ انطباعًا خطأ، بأننا نقف ضد العلم، وضد الحداثة، وضد الصناعة، بل نحن مع كل هذه الأمور، كل ما في الأمر أننا نطالب بتطويرها

في جميع أنحاءه (ما عدا الأشباء السميكة)، وهي ميزة لا مثيل لها في أي تقنية أخرى للتدفئة.

حتى لا يؤدي إلى سحق الإنسان، وهذا عن طريقٍ تجعلُهَا متزاوجة مع القيمة الإنسانية، والأخلاقية، والدينية.

موسوعة اليهود، واليهودية، والصهيونية

لا أحتمل صبرًا أكثر من هذا، وأَودُّ -الآن- أن أَبْدَأَ أوَّلًا بقصة الموسوعة التي أَنْفَقْتَ -من عمرك- ستةً وعشرين عامًا لإتمامها، فأولًا كيف عَمِلْتَ بها؟ وكيف تَفَرَّغتَ لها رَغْمَ عملك في أكثرَ من موقع، وسفرك إلى أكثر من مكان؟ ومن الذي ساعدك في إنجازها؟ وما هو دور زوجتك، وأسرتك، ومُساعِدِيكَ المخلصين؟ وكيف تَكَلَّفَتْ نصفَ مليون دولار كما علمت؟ ومِن أَينَ؟

قد يستغرق هذا الحديث ما يقرب من يومين لكي أحكي القصة كاملة، لكني سأحاول اختصارَهَا بإذن الله.

بداية المسألة أني بَدأتُ أُميِّزُ بين الموسوعة، والعمل الموسوعي، في عام ١٩٧٠ حينما بدأت في كتابة كتابي «نهاية التاريخ» كان المألوف في ذلك الوقت أن يتوقفَ كلُّ كاتبٍ في

هامش، ويعرِّفَ بعض المصطلحات التي لم تكن مألوفةً حين ذلك مثل "الكنيسة"، فقررت أن أكتب كتابي حتى يكون متكاملًا، ثم أُلحِقَهُ بمسرد في النهاية، ما حدث أنني حين بدأت كتابة المسرد اكتشفت أنه ليستِ المصطلحات الصهيونية وحدها ذات طبيعة مصطلحية، وإنما المفردات الصهيونية أيضًا، فحينما يتحدثون عن الشعب فهذا شيء مختلف عما لو تَحَدَّثتَ عن الشعب الفرنسي، أو الشعب الإنجليزي، أو الشعب المصري، ونفسُ الشيء حينما يتحدثون عن أُمَّةٍ، أو عن حزب سياسي، الحزب السياسي في إسرائيل تشكيلة مختلفة تمامًا، أو حينما يتحدثون عن الديمقراطية الإسرائيلية، فوجدت أن المفردات الصهيونية ذات طبيعة مصطلحية تحتاجُ إلى تعريفٍ، فانقلب المسرد إلى موسوعة صغيرة، وانقلبت الموسوعة الصغيرة إلى موسوعة من مجلد واحد صدرت عام ١٩٧٥ من مؤسسة الدراسات السياسية الإستراتيجية في الأهرام، كما قلت من قبل إن العنوان الثانوي كان (المصطلحات الصهيونية رؤية نقدية)، وكان الهدف هو أن أفكك المفردات

الصهيونية، والمصطلحات حتى أُبيِّنَ التحيزات التي فيها، فلا يتقبّلها القارئ العربي بسذاجة، أو ببراءة، ويعرِفُ أنه حينما نتحدث عن حزبٍ في إسرائيل، فإننا نتحدث عن مؤسسة استيطانية استيعابية، نتحدث -أيضًا- عن مؤسسة تجمع تبرعات من الخارج، مثلًا الأحزاب الإسرائيلية كلها لها فروع في الخارج، وهذه مسألة مختلفة، ونحن نعرف أن الوكالة اليهودية، والمنظمة الصهيونية العالمية تعطيها تبرعات، أي أن لها قواعدَها الخاصة التي يجب على القارئ العربي أن يدركها تمامًا.

وفي عام ١٩٧٦ ذهبتُ للولايات المتحدة، وقرَّرتُ أن أبدأَ في تحديث هذه الموسوعة، وبدأت إعداد الملفات، وحينما عُدتُ سنة ١٩٨٠ أَلَّفْتُ كتابًا استندَ إلى هذه الملفات، وكتابًا بالإنجليزية في الولايات المتحدة، وكتابًا آخر بالعربية، ثم جمعت مجموعة من الباحثين في منزلي كي تبدأ التحديث، وكنت أظن أنها ستستغرق سنة أو سنتين، أو ثلاث على الأكثر، وفي الواقع كانت التكاليف التي توقعتها في ذهني آنذاك عشرة آلاف جنيه، فكَتَبَ الكُتَّابُ ما

كَتَبُوا، وكانت بعض الكتابات جيدة، لكنِّي اكتشفت أن معظمها تفكيكي، وأننا نقوم بالتفكيك، ولا نطرح البدائل.

ينقُصُهَا التركيبُ، أو إعادة التركيب.

(●) بالفعل إعادة التركيب وصفٌ دقيق، في ذلك الوقت بدأَتْ تتسعُ قراءتي، فاكتشفت هنا أن معظم اليهود أولًا موجودون في العالم الغربي، وبالتالي الحديث عن اليهودية العالمية، والصهيونية العالمية حديث مشكوك فيه، وأن معظم هؤلاء كانوا في منتصف القرن التاسع عشر ونهايته موجودون في هولندا، بل هناك إحصائية تقول إن كلَّ يهود العالم الغربي من أصل بولندي لأن اليهود الأصليين في هذه البلاد قد تم صهرهم واستيعابهم وهاجر يهود من بولندا إلى هذه الدول.

ونحن نقول بولندا وليس روسيا، لكن الآن نكتب بولندا روسيا؛ لأنه كان من المحظور على اليهود دخول روسيا، لكن ما حدث أن روسيا ضَمَّتْ أجزاءً من بولندا، وكان من ضمنها أجزاء كبيرة فيها يهود، وبالتالي أصبحت روسيا من أكبر الدول في العالم

التي فيها جماعات يهودية.

حينما بَدَأْتُ في دراسة النظام السياسي البولندي وجدته مختلفًا تمامًا عما نعرفه، فهولندا كانت تسمى «ريسكوبليكا» أي جمهورية، لكنها رغم ذلك يحكمها مَلِك، لكن هذا الملك مُنْتَخَبٌ، وهذا الملك المنتخب ليس بالضرورة من بولندا.

شيء غريب حقًا.

نعم؛ تركيبة غريبة، فالتطور في كل البلاد الغربية هو أن الملك يتحالف مع البرجوازية[14]، ويقلص من قوة النبلاء

---

[14] **البرجوازية**: هي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على الإنتاج، والسيطرة على المجتمع، ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها، ومكانتها بحسب نظرية (كارل ماركس).

والبرجوازية -بشكل أَدَقّ- هي الطبقة المسيطرة والحاكمة في المجتمع الرأسمالي، وهي طبقة غير منتجة لكنها تعيش من فائض قيمة عمل العمال، حيث إن البرجوازيين هم الطبقة المسيطرة على وسائل الإنتاج، ويقسمهم (لينين) إلى فئات حيث يشمل وصف البرجوازيين بالعديد من الفئات تنتهي بالبرجوازي الصغير وهم المقاولون الصغار، وأصحاب الورش الصغيرة، والجدير بالذكر هنا أن الطبقة البرجوازية هي التي قامت بالثورة الفرنسية التي

الإقطاعيين[١٥] بالتدريج إلى أن تظهر الدولة القومية، فالأول الدول المطلقة ثم الدولة القومية، في بولندا حدث العكس لأن النبلاء ظَلُّوا يقلّصون من نفوذ الملك إلى أن أصبح واحدًا منهم، وأصبح لكل نبيل بولندي حق الفيتو[١٦]، إلى جانب هذا أصبح موجودًا

تعتبر بالتالي ثورة برجوازية أطاحت بطبقة النبلاء، ورجال الدين، وبشرت برؤى جديدة حول الحياة.

(15) **الطبقة الإقطاعية**: هي طبقة كبار مُلاكي الأراضي، ارتبط الفلاحون بالعمل في أراضي النبلاء، وكبار المالكين ضمن أعمال القنانة (العبودية)، تطورت لاحقا بأعمال سخرة جماعية لكل من يسكن من الفلاحين ضمن إطار ممتلكات هذا الإقطاعي أو ذاك، يلتزم الفلاح بالدفاع عن المالك الذي يعيش ضمن ممتلكاته فضلًا عن التزامه بضريبة سنوية تكاد تجهز على كل ماينتجه الفلاحون طوال العام، أقامتِ الكنيسة تحالفًا مع الإقطاعيين لأنها أيضًا كانت تجبي عوائدها من الجميع سواء كان ذلك على شكل عشور (عشر الدخل) يدفع لها من رعاياها، أو على شكل صكوك غفران لمن يدفع الثمن، وصكوك حرمان لمن يعترض على سلطتها الروحية.

(16) **حق الفيتو**: هو حق النقض، كلمة لاتينية تعني "أنا لا أسمح"، وهو حق إجهاض، وعدم تمرير أي قرار، أو تشريع مقترح، ولكن في نفس الوقت لا يضمن تمرير، أو تبني المشروع، ويمكن تقسيمه لنوعان أحدهما مُطلق، والآخر محدود.

يستخدم للدلالة على أن الحزب لديه بعض الحق في إيقاف -من جانب واحد- قطعةٍ من التشريعات، في الممارسة العملية، لا يمكن أن تكون مطلقة في حق النقض (كما هو الحال في مجلس الأمن الدولي، الذي يُمَكِّنُ الأعضاء الدائمين من عرقلة أي قرار)، والمحدودة كما

لديهم أحدُ القوانين الخاصة بالطبقة الإقطاعية البولندية أنهم لا يمكن أن يعمَلُوا بالتجارة. وحدث في القرن السادس عشر أَنِ انضمت بولندا إلى أوكرانيا، فكان لابد أن يكون هناك مديرون لإدارة هذه الضَّيْعَة، ولا يمكن أن يقوم بها النبلاء البولنديون خاصة أنه كان لابد أن يتواجدوا في (وارسو)[١٧] لممارسة السلطة، فأرسلوا بوكلاءَ تجاريين كانوا هم اليهود، فحدث تقسيم ثلاثي رهيب، نبلاء بولنديين داخل تشكيلة إقطاعية يؤمنون بالكاثوليكية[١٨]، ويتحدثون البولندية، أرسلوا يهودًا مؤمنين

هو الحال في العملية التشريعية في الولايات المتحدة، حيث ثلثي الأصوات في كل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ قد تجاوز حق النقض (الفيتو الرئاسي للتشريع).

(17) **وارسو**: (بالبولندية: Warszawa) هي عاصمة بولندا، وأكبر مدنها، وتقع على نهر فيستولا، وهي ثامن أكبر مدن الاتحاد الأوروبي، وبلغ عدد سكانها عام ٢٠٠٦ حوالي ١٧٠٠٠٠٠ نسمة، ومع ضواحيها يبلغ إجمالي سكانها ما يزيد قليلًا عن ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة، وتبعد المدينة ٣٧٠ كم عن ساحل بحر البلطيق، وقد تعرضت المدينة للتدمير الشديد خلال الحرب العالمية الثانية، ودُمِّرَ أكثر من ٨٥ ٪ من مبانيها.

(18) **المسيحية الكاثوليكية**: هي مجموع المؤمنين، والمؤسسات، وعقائد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وهي أكبر طوائف الدين المسيحي، يقع مركزها في مدينة الفاتيكان، مقر بابا

باليهودية، ويعملون بالأعمال التجارية، ويتحدثون بالإنجليزية، يقوموا باستغلال الفلاحين الأُكرانيين الذين يؤمنون بالأرثوزوكسية، ويتحدثون الأوكرانية.

عملية في منتهى التعقيد.

حقًا، وهي عملية تَرَاتُبٍ اجتماعي رهيبة، أنا أجد أنها تشبه إلى حدٍّ كبير التراتب الموجود في إسرائيل الآن: إمبريالية[19]

الكاثوليك، يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم، وخاصة في جنوب أوروبا، وأميركا اللاتينية.

[19] **الإمبريالية (بالإنجليزية: Imperialism)**: هي سياسة توسيع السيطرة، أو السلطة على الوجود الخارجي بما يعني اكتساب، و صيانة الإمبراطوريات، وتَكُونُ هذه السيطرة بوجود مناطقَ داخل تلك الدول، أو بالسيطرة عن طريق السياسية، أو الاقتصاد، ويطلق هذا التعبير على الدول التي تسيطر على دول تائهة، أو دول كانت موجودة ضمن إمبراطورية الدولة المسيطرة، وقد بدأت الامبريالية الجديدة بعد عام ١٨٦٠ عندما قامتِ الدولُ الأوربية الكبيرة باستعمار الدول الأخرى، وقد أطلق هذا التعبير في الأصل على بريطانيا، و فرنسا أثناء سيطرتها على أفريقيا، ويعتبر (فلاديمير لينين) أن وجود الإمبريالية مترابط مع الرأسمالية لأنها تستخدم الدول المُسْتَعْمَرَةِ على أنها أسواقٌ جديدة، أو مصادرُ لموادٍ أولية.

غربيــة، صــهيونية[20]، مــستوطنين صــهاينة، الفلاحــين والــشعب الفلسطيني.

الإمبريالية الغربية تتحدّث الإنجليزية، ولا تؤمن بأيِّ شيءٍ على الإطلاق، في مقابل مستوطنين صهاينة يقومون بالاستيطان، والدفاع عن المصالح الغربيّة، ولا يؤمنون بشيء على الإطلاق، ولكــنهم يَــدَّعُونَ اليهوديــةَ في مقابــل العــرب المــضطهدين، والمسحوقين الذين سُلِبَتْ أراضيهم.

هل هو نموذج يمكن تَكْرَارُه، أو أصبح تكراره واردًا؟

أنا أعتقد أن تجربة الإقطاع الاستيطاني -كما أُسَمِّيهَا- في أوكرانيا مهمةٌ جدًّا خاصة إذا أشرنا إلى أن غالبية، أو معظم يهود

---

[20] **الصهيونية** (بالعبرية: **צִיּוֹנוּת**): هي حركة سياسية يهودية، كان هدفها الرئيسي إقامة دولة يهودية في فلسطين، وذلك بتشجيع هجرة اليهود من أنحاء العالم كافة إلى فلسطين "إيريتس يسرائيل" (حَسْبَ التسمية اليهودية التقليدية)، وإقامة تجمعات يهودية جديدة في هذه البلاد، وفي أيار/ مايو ١٩٤٨ تَوَّجتِ الحركة الصهيونية خطواتها -في العمل لتحقيق هذا الهدف- بتأسيس "دولة إسرائيل"، واعتراف بعض دول العالم بها، أما بعد تأسيس إسرائيل فتستهدف الحركة الصهيونية تعزيز العلاقات بين المجتمعات اليهودية في أنحاء العالم ودولة إسرائيل، وتشجيع يهود من بلدان مختلفة لزيارتها، والهجرة إليها.

الغـرب مـن هنـاك، وأن القيـادات الـصهيونية معظمهـا (بـن جوريـون)[٢١]، وبيجن[٢٢]، وآخرين قد أتوا من هولندا.. روسيا،

---

[21] **دافيد بن غوريون**: (١٦ أكتوبر ١٨٨٦ - ١ ديسمبر ١٩٧٣)، أوّل رئيس وزراء لدولة إسرائيل.

وُلـد بـن غوريـون في مدينـة "بلونـسك" البولنديـة باسـم (دافيـد غـرين)، ولتحمُّسِهِ للـصهيونية هـاجر إلى فلـسطين في ١٩٠٦، امـتهن بـن غوريـون الـصحافة في بدايـة حياتـه العملية، وبدأ باستعمال الاسم اليهودي "بن غوريون" عندما مارس حياته السياسية.

كان بن غوريون من طلائع الحركة العُمَّالِيَّة الصهيونية في مرحلة تأسيس دولة إسرائيل، وخـلال فـترة رئاسـته لمجلـس الـوزراء الإسرائـيلي الممتـد مـن ٢٥ ينـاير ١٩٤٨ وحتـى ١٩٦٣ (باستثناء الأعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥)، وقد قـاد بـن غوريـون إسرائيـل في حـرب ١٩٤٨ التي يُطلِقُ عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال، ويُعَدُّ بن غوريون مـن المؤسسين لحزب العمـل الإسرائـيلي، والـذي تبوَّأ رئاسـة الـوزراء الإسرائيلية لمدة ثلاثين عامًا منذ تأسيس إسرائيل، وأنتقل هو وعائلته إلى فلسطين مرة أخرى بعد الحرب العالميـة الأولى، وتوفى بن غوريون عام ١٩٧٣.

[22] **مناحيم بيجِن**: (١٦ أغـسطس ١٩١٣ - ٩ مـارس ١٩٩٢) وُلِدَ في روسـيا البيـضاء، ودرس فيها حتى أنهى المرحلة الثانويـة، ثـم سـافر إلى بولنـدا في عـام ١٩٣٨ حيـث جامعـة "وارسو" لدراسة القانون، تَعَرَّفَ بيغن عـلى العمـل الـصهيوني مـن خـلال منظمـة "بيتـار" اليهودية البولندية التي تَرَأَّسَهَا في عام ١٩٣٩، حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

نتيجة فكر بيغن الصهيوني، عمل على تأسيس منظمـة صـهيونية عـسكرية أطلق عليها اسم "أرجون" والتي وُصِفَتْ كمنظمة إرهابية، واقـترن اسم أرجـون بعمليـات الإرهـاب

فهذه التجربة الاستيطانية موجودة في هذا الوجدان، ولعل هذه هي الحلقة المفقودة بين اليهود والصهيونية، لأنها حلقة مفقودة في الدراسات فعلًا، نحن نُمَيِّزُ بين اليهودية والصهيونية، ونُمَيِّزُ بين اليهود والصهاينة، لكنَّ هُناك حَلَقَةٌ مفقودة، أنا أعتقد أن هذه الدراسة في الموسوعة بَيِّنَته، ومن أطرف الأشياء -وهذا هو شعار الموسوعة- أن المديرين الماليين اليهود كان عليهم أن يتعلموا فنون الحرب، كانت تحميهم الجيوش البولندية لكن كان عليهم أن يُدَافِعُوا عن أنفسهم لحين وصول الجيوش البولندية، ولذلك ظهر طراز معماري يسمى «المعبد القلعة» وهو أنهم أَسَّسُوا معابدَ على

الفظيعة في حق الشعب الفلسطيني، وأسهمت في ترحيل الفلسطينيين من ديارهم بفعل العمليات الإرهابية، ومن أشهر عمليات الأرجون الإرهابية ضد الشعب الفلسطيني (مذبحة دير ياسين) التي راح ضحيتها ٣٦٠ فلسطيني كما ذكر مناحيم بيغن في كتابه "التمرد، قصة الأرجون".

بعد موت زوجته "أليزا"، تدهورت حالة بيغن الصحية فقام الرجل بتقديم استقالته من رئاسة الوزراء في أغسطس ١٩٨٣، وظَلَّ يصارع المرض حتَّى فارق الحياة في ٩ مارس ١٩٩٢ عن عمر يناهز الـ ٧٨ عامًا.

هيئة قلاع بحيث يتعبَّدوا فيها كيهود لكن في نفس الوقت تخرج منها المدافعُ لصدِّ الفلاحين، والقوزاق[٢٣] حينما يأتون.

الهولوكوست

هذا الأمر قد يكون ثابتًا في التراث اليهودي، فقد تكرر كثيرًا عبر تاريخهم الحربُ من خلال قلاعٍ مُحصَّنَة بهذا الأسلوب، ومن المُمكِن أن يكون من أيام النبي محمد «صلى الله عليه وسلم».

نعم، هم لا يحاربون إلا من خلال قلاع مُحَصَّنة، لكنَّ تواجدهم في هذا الموقع بالذات مهمٌ للغاية؛ لأني أعتقد مثلًا أن يهود أميركا يختلفون عن ذلك، يعيشون في داخل التشكيل

---

[23] **القوزاق**: هم في الأصل الجنود الفلاحون الذين كانوا يعيشون في مناطقِ نَهْرَيْ (الدنيبر)، و(الدون) بشرقي أوكرانيا، وغربي روسيا، وقد بدأت روسيا وبولندا في القرن الخامس عشر الميلادي تنظيم القوزاق في وحدات عسكرية تساعد في حرب التتار الغزاة، وقد منحت كل من روسيا وبولندا القوزاق عدة امتيازات مكافأة لهم على خدمتهم، وقد شَكَّلَ القوزاقيون وحدات حكم ذاتي مبنية على أسس ديمقراطية، وكلمة القوزاق تعني بالتركية الإنسان الحر.

حاولت روسيا وبولندا خلال القرن السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين أن تنهي امتيازات القوزاق، فتكررت ثورات القوزاق ضدهم، وخلال القرن التاسع عشر شَكَّلَ بعضُ القوزاق وحدات خاصة في الجيش الروسي.

الأميركي، بالعكس فهناك ما يسمى بالـ "الهولوكوست[24] الصامت"، وهو الزواج المختلط الذي زاد عن ٦٠ ٪، والذي سيقضي على نصف يهود أميركا في خلال ربع قرن.

أي يُكرِّرُونَ (الهلوكوست) الذي حدث أيام النازي.

نعم، وهو يشبه هذا، إذا كان الهولوكوست أيام النازي قد أدى إلى اختفاء ملايين اليهود، فالزواج المختلط، والاندماج

---

[24] **الهولوكوست**: هو مصطلح استخدم لوصف الحملات الحكومية المنظمة من قِبَلِ حكومة ألمانيا النازية، وبعض من حلفائها لغرض الاضطهاد، والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية، وكلمة (هولوكوست) هي كلمة مشتقة من كلمة يونانية تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون"، وفي القرن التاسع عشر تم استعمال الكلمة لوصف الكوارث، أو المآسي العظيمة.

أول مرة استُعْمِلَتْ فيها كلمة (هولوكوست) لوصف طريقة معاملة هتلر لليهود كانت في عام ١٩٤٢، ولكنَّ الكلمة لم تلقَ انتشارًا واسعًا إلى الخمسينيات، ومع السبعينيات أصبحت كلمة (هولوكوست) تُسْتَعْمَلُ حصريًا لوصف حملات الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود بالتحديد على يد السلطات الألمانية أثناء هيمنة الحزب النازي بقيادة (أدولف هتلر)، واليهود أنفسهم كانوا يستعملون كلمة (شواه) في الأربعينيات بدلًا من (هولوكوست) وهي كلمة مذكورة في التوراة وتعني الكارثة.

سيؤدي إلى اختفاء ملايين اليهود -أيضًا- ، ولذلك أنا من المُنَادِينَ بأن نبتعدَ عن كلمة التاريخ اليهودي، ونتحدث عن التواريخ اليهودية حتى يُمكِنُنَا التَمْيِيزُ بين يهود أميركا، ويهود روسيا بولندا، ويهود أثيوبيا، وهكذا أن ندرس كل حالة على حدة، لأن التعميم يؤدي إلى الرؤية الصهيونية، والرؤية العنصرية في ذات الوقت، وهما متلازمتان.

المعبد القلعة هذا أعتقدُ أنَّهُ من أَهمِّ الطراز المعمارية، وأهمِّ الرموز في تاريخ الجماعة اليهودية في بولندا، ويشبه إسرائيل إلى حد كبير، ولذلك هو الشعار الأساسي في الموسوعة.

كل هذه الأمور تجعلُنِي أَرفضُ أن أستمرَّ في التحديث القديم لوجود رؤية جديدة هنا، ومن ثم بدأت في عملية التركيب، والتأسيس الجديدة، واضطُرِرْتُ أن أبدأ من نقطة الصفر رغم أنني بدأتُ في طباعة النسخة النهائية من الموسوعة -حَسْبَ الرؤية القديمة التفكيكية- عام ١٩٨٤.

واكتشفتَ أن المسألة أكبر من هذا كثيرًا.

نعم، أكبر من هذا بكثير، وأننا عندنا قدرة -نحن

العــربَ، والمــسلمين- أن ننظر نظــرة جديــدة للــصهيونية، وأن نكتــشف بعــض الاكتــشافات التــي لا يمكــن للإنــسان الغــربي اكتشافها، ولا يمكن للصهيونيِّ نفسه اكتشافها، فمثلًا، يتحدثون في الغرب عن مركز الدراسات اليهودية كما لو كان هناك شيءٌ مستقل اسمه الدراسة اليهودية، وأنا أَزعُمُ أنه يمكن دراسة يهود أميركا في سياقهم الأميركي، ومن الممكن دراسة يهود بولندا في سياقهم البولندي، ولابد من دراسة يهود إثيوبيا في سياقهم الإثيوبي، وإنني إن لم أفعلْ ذلك -أي إذا لم أنظر إلى اليهود من الخارج- فلن أفهم شيئًا على الإطلاق، وهذا ما يلجأ إليه الصهاينة، وما يلجأ إليه العنصريون -أيضًا- أي أنهم يأخذون سمات ثابتة في اليهود، ويقولون هذه السمات هي سمات يهودية.

مخططات يهودية

اليهود يريدون أن يُقَدِّمُوا أنفسَهُم إلى العالم على أَنَّهم شعب واحد، وجنس واحد، ودين واحد، وأنت تفعل العكس تمامًا، فأنت تُفَكِّكُهُم، وتُثبِتُ أَنَّهم جماعاتٌ، وليسوا شعبًا، وأنهم لا

يؤمنون بهذا الدين الذي تَلُوكُهُ ألسنتُهم.

بالفعل، وأكثر من نصف يهود أميركا لا يؤمنون بهذا الدين، ولذلك أتحدّث دائمًا عن الاعتذارات، والاعتذاريات اليهودية حيث إنها ليست جزءًا من صميم الرؤية، ويجب أن نتذكر دائمًا أنَّ أُسس إسرائيل من الملاحدة، وأنَّ الصهيونية العُمَّالية لا تؤمن بالله إطلاقًا، ولا باليهود، حتى بريس[25] نفسه حينما هُزم قال: "لقد هَزَمَ اليهودُ الإسرائيليين" كما لو كانوا فريقين، فريق مؤمن باليهودية، وفريق غير مؤمن يُسمَّى الإسرائيليين.

أكان هذا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣؟

لا، كان هذا بعدما هُزِم في الانتخابات الأخيرة.

في الانتخابات!

نعم؛ والذي هزمه هم اليهود باعتباره رجلًا علمانيًّا إسرائيليًّا لا يكترث بهذا، وبالطبع فإن مثل هذه التصريحات

---

(25) **شمعون بيرس**: ولد في ٢ أغسطس ١٩٢٣، رئيس دولة إسرائيل من ١٥ يوليو ٢٠٠٧، كان يرأس حزب العمل، إلا إنه في يونيو ٢٠٠٦ انتقل إلى حزب كاديما، وفي ١٣ يونيو ٢٠٠٧ انتخبه الكنيست لمنصب رئيس الدولة، تولى رئاسة وزراء إسرائيل على فترتين، الفترة الأولى من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٨٦، والفترة الثانية من ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦.

يحرصون على إخفائها؛ لأنهم يودّون اكتساب الأصوات الدينية، ولذلك فالمظاهرات الأخيرة التي قام بها الدينيُّون، أو ذوو الصِّبْغَة الدينية ضدَّ العلمانيين نجد أن زعماء الصهيونية الأساسيِّين قد اختفوا من هذه المظاهرات، فلم يشارك فيها نتنياهو(٢٦)، أو باراك(٢٧)، أو بيريس، لأنهم يفضلون المراوغة في هذه المنطقة.

---

(26) **بنيامين نتنياهو**: ولد ٢١ أكتوبر ١٩٤٩، رئيس وزراء إسرائيل من ٣١ مارس ٢٠٠٩، وكان قد تولى قبل ذلك رئاسة الوزراء في الفترة من ١٩٩٦ إلى ١٩٩٩. وهو عضو في حزب الليكود الإسرائيلي، خدم في القوات الخاصة للجيش الإسرائيلي، وهو أبٌ لثلاثة أولاد.

أثناء توليه رئاسة الوزراء -كأصغر رئيس حكومة في تاريخ دولة إسرائيل- فاوض (ياسر عرفات) في المفاوضات المشهورة بمفاوضات (واي ريفر) والتي يرى البعض أنه حاول إعاقة أي تقدم في سير المفاوضات بخلاف رئاسة الوزارة التي سبقته والتي تلته، فقد قطعت تلك الحكومات تقدمًا ملموسًا بالمقارنة مع عهده، وإتصف عهده بالهدوء النسبي باستثناء بعض العمليات الاستشهادية الفلسطينية داخل إسرائيل، وفي عام ١٩٩٦ إتفق مع رئيس بلدية القدس على الاستمرار في نفق السور الغربي للمسجد الأقصى مما أشعل شرارة فلسطينية استمرت ثلاثة أيام سقط خلالها القتلى من الجانب الفلسطيني والإسرائيلي.

(27) **إيهود باراك**: ولد في ١٢ فبراير ١٩٤٢، وزير الدفاع في إسرائيل، وكان عاشر رئيس وزراء لإسرائيل من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠١.

انضم باراك للجيش الإسرائيلي في عام ١٩٥٩، وخدم فيه لفترة خمس وثلاثين سنة، ارتقى خلالها إلى أعلى منصب في الجيش الإسرائيلي (عميد)، وقام الجيش الإسرائيلي بتقديم ميدالية "الخدمة المميزة" لباراك، كما حصل على شهادات في الشجاعة، والأداء المميَّز، وخلال فترة الخدمة بالجيش عمل باراك على متابعة التحصيل العلمي، فقد حصل على شهادة من الجامعة العبرية في القدس، وأخرى من جامعة "ستانفورد".

الموسوعة على مدار ستة وعشرين عامًا

إذن أنت اكتشفتَ أنَّ ما كنتَ تظنُّهُ قناةً، أو بحيرةً عبارة عن محيطٍ زاخرٍ من المعرفة، وينبغي أن تحيطَ بجميع شُطْآنه فتفرغتَ لهذه الموسوعة طوال ستة وعشرين عامًا، ومازلتُ أسألُ عن بُعْدِ هذا التفرغ الذي يحتاج نوعًا خاصًّا من الرجال الذين يتحملون مسؤولية قرار كهذا، أن يستقيل من عمله كأستاذ جامعيٍّ؛ ليتفرغ من أجل إنجاز عمل موسوعي مثل هذا، نريد أن نقفَ وقفةً أمام هذه النقطة في شهادتك على العصر؛ لنقدم نموذجًا جيدًا للشباب.

لقد اضطُرِرْتُ -آسفًا- أن أُموِّل هذا العمل بنفسي، وأقول آسفًا لأن هذا يشكل خطرًا كبيرًا على العملية البحثية في

أمّا فيما يتعلّق بالعمل السياسي، فقد عمل وزيرًا للداخلية عام ١٩٩٥، ووزيرًا للخارجية بين الأعوام ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦، وفي عام ١٩٩٦ حصل باراك على مقعد في الكنيست الإسرائيلي حيث شارك في اللجان الخارجية والدِّفاعية، وفي نفس العام تمكّن باراك من رئاسة حزب العمل الإسرائيلي.

وفي ١٧ مايو ١٩٩٩ تمكّن باراك من الفوز برئاسة الوزارة الإسرائيلية، وقد أتمَّ فترة رئاسته إلى ٧ مارس ٢٠٠١ عندما خسر في الانتخابات الاستثنائية أمام غريمه "ارئيل شارون".

العالم العربي، وقد حباني الله ببعض المال من خلال الحاج حصاف المسيري والدي، فهو الذي موَّل جزءًا كبيرًا من الموسوعة، ومن خلال عملي في السعودية -أيضًا-، لكنَّ الأهم أن زوجتي الدكتورة (هدى حجازي)[٢٨] زوجة اقتصادية، وغير استهلاكية.

أي أنها طبَّقَتْ ما تُنَادِي به، والذي ذَكَرْتَهُ في صدر هذه الشهادة.

بالضبط، لكنَّها طبَّقَتْهُ بشكلٍ فطريٍّ، ومباشر، رُبَّما لأنها نشأت في الريف المصري، حيث الاستهلاك ليس معيارًا للسعادة، وليس معيارًا للمكانة الاجتماعية. فالمكانة الاجتماعية تأتي للإنسان من خلال أفعاله الخيرية، بينما ارتبطتِ المكانة الاجتماعية في الطبقات الجديدة بالهاتف المحمول، وبنوع السيارة، وبأشياء خارجية جدًّا عن الإنسان، وهذا فَهْمٌ خاطئ للمكانة،

(28) **د/ هدي محمود حجازي**: أستاذ الخدمة الاجتماعية المساعد بكلية الآداب قسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، وزوجة الدكتور عبد الوهاب المسيري.

والأرستقراطية[29]، لأن الأرستقراطية لابد أن تنبع من خلال أعمال الإنسان.

وهي -أيضًا- القشرة الغربيّة التي اتخذناها غطاءً لثقافاتنا، وحضاراتنا.

نعم، وزوجتي لم يكن من الصعب عليها إقناع أولادنا -الذين يميلون إلى عدم الاستهلاك- بهذا الأمر، فابني عندما كان في المملكة العربية السعودية -هذا أذكُرُهُ دائمًا للطبقات المتوسطة المصرية- ارتدى الثوب السعودي لمدة ثلاث سنوات، وكان يُغَيِّر الثوب فقط، فكلَّفَنَا هذا الشابُّ عبرَ ثلاث سنوات ما يقرب من

---

(29) أرستقراطية: كلمة يونانيه تعني أن يكون الحُكمُ بواسطة خير المواطنين (الطبقة الذهبية) لصالح الدوله، أي سُلطة خواصّ الناس، وسياسيًّا تعني طبقة اجتماعية ذات منزلة عليا تتميز بكونها موضعَ اعتبار المجتمع، وتتكون من الأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم، ودورهم في المجتمع عن طريق الوراثة، واستقرت هذه المراتب على أدوار الطبقات الاجتماعية الأخرى.

وكانت طبقة الأرستقراطية تتمثل في الأشراف الذين كانوا ضدَّ الملكية في القرون الوسطى، وعندما ثبتت سلطة الملوك بإقامة الدولة الحديثة تقلّصت صلاحية هذه الطبقة السياسية، واحتفظت بالامتيازات المنفعية، وتتعارض الأرستقراطية مع الديمقراطية.

مائة وخمسين جنيهًا لكل ملابسه.

وأنا لا أتحدث هنا عن التوفير، فأنا دمنهوري ولكن في الواقع أتحدث عن أسلوب حياة.

سوف نتحدث عن دمنهور، وسيكون لها حيزٌ كبيرٌ في هذه الشهادة -إن شاء الله-، وعن قهوة المسيري، والنشاط الثقافي التي كانت بؤرة إشعاع قوية.

نعم، بالطبع.

الموسوعة بين المتطوعين، وعمليات النصب

لقد سمعتُ أنك تعرضتَ لعمليات نَصْبٍ أثناء إعداد هذه الموسوعة، وبعض الناس أخذوا منك أموالًا ولم يُتِمُّوا الجزء الخاص بهم في الموسوعة، فهل هذا صحيح؟

نعم، هذا حدث بالفعل، وأنا سأُلاحقُ أحدُهم، وسأُهدِّده - بإذن الله- أن أُشْهِرَ اسمَه، فقد أخذ سبعة آلاف جنيه، ويقول دائمًا إنه على استعداد أخذ هذا المبلغ عام ١٩٨٤.

أَلِكَيْ يرسم الموسوعة؟

((●)) لا، كان هذا للتحليل، أما الرسام فقد قبض المبلغ وذهب، ولا أدري هل أُلاحِقُه، أم لا؟ لأنه كان المشرف الفنيَّ، وفي المقابل -مثلًا- الأستاذ (حلمي التوني)[30] الذي حلَّ محلَّهُ، وقرَّر أن يقوم بعمله تطوُّعًا دون مقابل، وحينما قَدَّمتُ له شيئًا كمكافأة صغيرة -لأني غير قادر على أن أتحرك مثل المؤسسات- رفض هذا، وهذه مسألة لابد أن أذكرَها.

إن كثيرًا من العاملين معي في الموسوعة إما عَمِلُوا دون مقابل، أو ما يُشبِه العملَ التطوعيَّ، أي أن بعضهم كان يتقاضى نصف ما يستحقه من أجر، أو رُبع ما يستحقه من أجر، فعلى سبيل المثال كان معي مساعدٌ في السعودية اسمه (هاني جابر) فلسطيني الأصل،

---

(30) **حلمي التوني**: هو فنان تشكيلي مصري متخصص في التصوير الزيتي، و التصميم ، ولد بمحافظة بني سويف بمصر في ٣٠ إبريل عام ١٩٣٤، وحصل على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة تخصص ديكور مسرحي عام ١٩٥٨، ودرس فنون الزخرفة، و الديكور، وتولي العديد من المناصب، وأقام العديد من المعارض المحلية، و الدولية، عاش بالقاهرة، وبيروت التي كانت زيارته الفنية لها لمدة ثلاث سنوات، كما أن العديد من الناس في مختلف دول العالم يقتنون الكثير من لوحاته، كما أن متحف الفن المصري الحديث بالقاهرة يقتني - أيضًا- عددًا من لوحاته القيمة.

عمل معي ليل نهار مقابل مبلغ زهيد جدًّا، وكذلك أيضًا (محمد هشام)، وهو مدرس مساعد في جامعة حلوان، عمل ما يقرب من ربع قرن دون مقابل على الإطلاق، كما جاءتني مساعِدَةٌ تُسمَّى (نادية رفعت) عملت معي وكانت في غاية الوفاء، كنت أطلب منها أن تكتب الموسيقى اليهودية، أو موسيقى الجماعات اليهودية، فتذهب وتتعلم الموسيقى حتى تفهمَ ما تقرأ، وبعد ذلك تكتب بعض المداخل عن الموسيقى، وهي -أيضًا- عالِمَةٌ سياسية، فكانت تكتب في جوانبَ كثيرة منها، فمثلًا كتبت مدخلًا عن هنري كوريل[٣١]، وقرأت الكثيرَ عنه.

هنري كوريل الزعيم الشيوعي اليهودي المصري.

---

[31] **هنري كوريل**: ولد في ١٣ سبتمبر ١٩١٤، كان ناشطًا سياسيًّا مصريًّا / فرنسيًّا، أسس منظمةً شيوعية في مصر، وأحد مؤسسي الحزب الشيوعي المصري، ساهم في دعم عدة حركات تحررية إلي أن تم اغتياله في باريس في ٤ مايو ١٩٧٨، وقد دُفِنَ في مقبرة (بير لاشز) وهي أكبر، وأشهر مقابرِ باريس.

ولد في القاهرة لأسرة يهودية مصرية ذات جذور إيطالية، وهو قريب للفيزيائي الإيطالي، والمنَاهض للفاشية (يوجينيو كوريل) والذي أُغْتِيلَ في إيطاليا عام ١٩٤٥، وكان -أيضًا- عمًّا لعميل (الكي جي بي) البريطاني (جورج بلايك).

اليهودي المصري، وهناك -بطبيعة الحال- زوجتي التي كانت كل المداخل عن التربية، والتي قَرَأَتْ كلَّ ما كتبتُ حرفًا حرفًا سواء في الموسوعة، أو خارجها، وهي ناقدة شرسة بالفعل، ومُحَاوِرَةٌ جيِّدَةٌ من الدرجة الأولى، فكانت تقرأُ، وتُخبرني.

أكانت قراءة نقدية تحليلية ضددية؟

نعم، وهي أستاذة في التربية، وفلسفة التربية، ومن ثمّ فهي عندها المقدرة على قراءتي، وتعريف كثيرٍ من أفكاري، ومن ثم يمكنها تفكيك هذه الأفكار بكفاءة غير عادية، وهناك طبعًا كان يوجد مكتب للترجمة العبرية، وبعد ذلك انضم لطاقم الموسوعة اثنان من الأساتذة، الدكتور (أحمد حمَّاد)، والأستاذ (محمد فريد)، وقد قاموا بمراجعة المصطلحات العبرية، وقام الدكتور حماد بكتابة بعض المداخل، وهناك مجموعة من المحررين يقرأون كل ما أَكتُبُ، فهناك الأستاذ (علي سليمان)، والأستاذ (ممدوح الشيخ)، ولا تنسَ أن كل صفحة كُتِبَتْ ما لا يقلُّ عن عشر مرات، وكان هناك كاتب على الكمبيوتر، وهو الأستاذ (سيد طه)، وكان يكتب على الآلة الكاتبة، وتعلَّم الكمبيوتر خصيصًا للموسوعة، وقد احتفظ بالهيكل المصطلحي في ذهنه تمامًا، إلى جانب عشرات الباحثين،

ففي الولايات المتحدة كان يوجد باحثٌ، أو باحثان يُشرف عليهم الأستاذ (فتحي أبو رفيعة)[٣٢]، وفي مصر -في المرحلة الأخيرة حينما بدأت في إسرائيل- شارك معي الأستاذ (أحمد عبد الحي)، والأستاذ (أسامة فؤاد)، والأستاذ (ياسر علوي) في عملية الكتابة، وبالطبع كان هذا يتطلب تمويلًا كبيرًا، وهذا ما اضطرني إلى الاستقالة.

وبصراحة شديدة وجدتُ الاستمرار في العمل الجامعي، وفي الكتابة في الوقت نفسه مسألةً مستحيلةً، وبدأ التفرغ عام ١٩٨٣ لأني كنت في السعودية، وكان أستاذي رئيس القسم الدكتور (عزت خطاب) الذي أدرك أهمية ما أفعل، فلم يُلْقِ لي بأيَّةِ وظائفَ إداريةٍ فضلًا عن قلة عدد الطلبة في جامعة الملك سعود، فأصبح من الصعب عليّ -حينما عُدتُ- أن أعملَ بالجامعة؛ لأنني ذُقت

---

[32] فتحي أبو رفيعة: كاتب، وناقد أدبي من مصر، من مواليد ٨ مايو ١٩٤١، تخرج في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٦٣، عمل بالإعلام، والصحافة، والأمم المتحدة، ومن أعماله المنشورة: بقايا العمر (مجموعة قصصية)، الطير المسافر (مجموعة قصصية)، تفكيك الرواية (دراسات نقدية)، نقد الثقافة (تطبيقات نقدية في سوسيولوجية النص الروائي).

طعم التفرّغ، فاستقلتُ، وجلست في المنزل، و كان هذا القرار غريبًا بعض الشيء.

لكنَّ زوجتى -أيضًا- شجَّعتْنِى عليه، وكنت أكتبُ ليلَ نهار، وخاصة فى السنوات الأخيرة.

الموسوعة... هل تُكرَّر؟

إلى جانب هذا النظام الذى وضعتَهُ لمجموعة العمل لإنجاز هذه الموسوعة، وإلى جانب دَوْرِ مجموعة العمل نفسها، والمساعدين الذين تفضلتَ بذكرهم، وأعطيت كلَّ ذِي حقٍّ منهم حَقَّهُ، وإلى جانب دُورِ الناشر الأستاذ (إبراهيم المعلم)[٣٣] في إنجاز وإخراج هذا العمل إلى الجمهور، تَبْقَى قضيةٌ هامةٌ إذا توفرت هذه العناصر - التي استطعتَ أن توفِّرَهَا بنجاح شديد-يمكن

---

(33) إبراهيم المعلم: مؤسس دار الشروق، ورئيس مجلس الإدارة، ورئيس اتحاد الناشرين المصريين، ونائب رئيس الاتحاد الدولي للناشرين، وهو عضو مجلس إدارة النادي الأهلي.

متزوج من (أميرة أبو المجد)، ابنة (أحمد كمال أبو المجد) نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان، وبذلك فهو عديل (محمد النواوي) نائب رئيس مجلس إدارة شركة الاتصالات المصرية لشؤون الكابلات البحرية.

للمصريين، أو العرب أن يُكرِّرُوا هذا النموذج فى أعمال أخرى دون أن نردد المقولات الاتكالية مثل (أين دور الدولة، ومراكز الدولة للأبحاث والجامعات، والتمويل) لأننا نعرف جيدًا أن الأبحاث في العالم كله، وفي أميركا - التي حصلتَ منها على الماجستير، والدكتوراه- تمولها هيئات خاصة، وأثرياء، وجامعات، وليست الدولة.

(●) أنا أعتقد أن هذا الكلامَ دقيقٌ، ومفيدٌ، ومُهمٌّ للغاية، وفي الواقع فإن إحدى المزايا التي أتمتع بها أني اكتشفُ الكثير من الشباب، واكتشفتُ أن هذا الجيل الجديد لا يعيش تحت ظلال الغرب، ومن ثَمَّ فطاقته الإبداعية عالية جدًّا.

ولو اتجهنا إلى تقليد الغرب لانعدم الإبداع، فالناقل عادة غير مبدع، وقد بدأ كثير من الشباب يفكر بإبداع، وحرية، وقد ساهم هؤلاء الشباب في الكتابة في الموسوعة من رؤية جديدة، وساعدهم على هذا أني بَلْوَرْتُ بعض النماذج الأساسية، ولولا ذلك لكان من الصعب على أحدٍ أن يتعاون معي، لكن حينما وضعت هذه النماذج

الأساسية أصبح من السهل أن أُدرِّبَ مجموعة من الشباب، بحيث يتمَثَّلُونَ هذه النماذج، ويقومُون بعملية الكتابة.

أما ما يحدث - الآن- في المراكز البحثية في العالم العربي هو أن من يَشْغَلُونَ هذه المراكزَ قد تحوَّلوا إلى موظَّفِين يحاولون الحفاظ على مراكزهم، ومن ثَمَّ فمشكلة التمويل تُشكِّلُ جزءًا في هذه القضية، لكنَّهُ جزءٌ وليس الكل، فالمسألة تتطلب رؤيةً جديدةً تمامًا، وعملية التمويل يجب أن تزيدَ عن مدة السنة، أو السنتين، وهي المدة المقررة لأي بحث في العالم العربي.

وإذا أردت القيام بعملية تفكيكية تركيبية؛ فأنت تحتاج لوقت طويل.

وأنا أطرح موسوعاتي على أنها أجندة بحثية، ليست الكلمة الفصل، لأن الكلمة الفصل لله سبحانه وتعالى، فكلام الله - سبحانه، وتعالى- هو وحده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وما عدا ذلك فهو نسبي.

فأنا أطرحها للعقل العربي، والجزء الخاص بإسرائيل خاصة

يحتاج إلى تطوير، وأرجو -لو توفرتِ الاعتمادات- أن أُكوِّنَ فريقًا بحثيًّا يمكنه القيام بهذا العمل، لأنني لا أنوي -بصراحة شديدة- الإنفاق على العمل الجديد بإذن الله.

دمنهور، وقهوة المسيري

أود أن نعود بالحديث إلى البداية الأولى عام ١٩٣٨ حينما ولدتَ في مدينة دمنهور عاصمة البحيرة، ونحن نعلم أن دمنهور كانت تضم حركة ثقافية عالية النبرة، وكانت بؤرة إشعاعها هي قهوة المسيري، فكلنا نتذكر تمامًا هذه الفترة، وهذا الزَّخْم الثقافي، والأدبي، فكان (توفيق الحكيم)[٣٤] يذهب إلى قهوة المسيري، وأيضًا

---

[34] توفيق الحكيم (٩ أكتوبر ١٨٩٨ - ٢٦ يوليو ١٩٨٧): ولد في الإسكندرية، وتوفى في القاهرة، كاتب، وأديب مصري، من رواد الرواية، والكتابة المسرحية العربية، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، كانت للطريقة التي استقبل بها الشارع الأدبي العربي نتاجاته الفنية بين اعتباره نجاحًا عظيمًا تارة، وإخفاقا كبيرًا تارة أخرى الأثرُ الأعظم في بلورة خصوصية تأثير أدب، وفكر الحكيم على أجيال متعاقبة من الأدباء، وكانت مسرحيته المشهورة أهل الكهف في عام ١٩٣٣ حدثا هامًّا في الدراما العربية، فقد كانت تلك المسرحية بداية لنشوء تيار مسرحي عرف بالمسرح الذهني.

الأديب عبد المعطي المسيري[٣٥]، ومجموعات القصص القصيرة، ووالدك، ومجموعة أدباء كثيرة تجتمع، وكانت ندوة أدبية حية جدًّا،

بالرغم من الإنتاج الغزير للحكيم إلا أنه لم يكتب إلا عددًا قليلًا من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح، فمعظم مسرحياته من النوع الذي كُتب ليُقرأ، فيكتشف القارئ من خلاله عالمًا من الدلائل، والرُّموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة؛ لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة، والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق، والوعي.

سُمِّيَ تياره المسرحي بالمسرح الذهني لصعوبة تجسيد أعماله في عمل مسرحي، وكان الحكيم يدرك ذلك جيدا حيث قال في إحدى اللقاءات الصحفية: «إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارًا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز؛ لهذا اتسعتِ الهوَّة بيني، وبين خشبة المسرح، ولم أجد قنطرة تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة».

[35] **عبد المعطي المسيري**: هو الرجل الذي جمع بين عَالَمَيْن متناقضين، فقد كان أديبًا، وقهوجيًّا، وفي الوقت نفسه كان صديقًا لعمالقة الأدب في مصر في ذلك العصر الذهبي، كان المسيري يَعرِفُ العقاد، وتوفيق الحكيم، ويحيي حقي، ومازالت مكتبته العامرة داخل المقهي تحتفظ بنسخ من خطابات استقبلها من هدي شعراوي، وطه حسين عميد الأدب العربي.

والمدهش في قصة المسيري صاحب المقهي أنه بدأ حياته لا يجيد القراءة، والكتابة، ولكنَّه علَّمَ نفسه بنفسه، وبدأ في كتابة الأدب، وتحول مقهاه مع الزمن إلي منتدي ثقافي، وجامعة شعبية تخرج فيها أغلب أدباء، ومثقفي دمنهور، وتوفي المسيري يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ وهو يوم وفاة جمال عبدالناصر.

وكان ركنًا أدبيًا أخرج أدباء، ومبدعين، نود أن ترسم لنا صورة لمصر في الأربعينيات من خلال دمنهور التي نشأتَ فيها.

في دمنهور كان المجتمع مليئًا بالطقوس، والفلكلور[36] الجميل، وأنا أكتب سيرتي -الآن- لأسميها حياتي الفكرية، فاكتشفت أنه كان في طفولتي مسألة الأسرة الممتدة، وهي مسألة هامَّة للغاية، لأنَّ في الأسرة الممتدة توجد سيناريوهات بديلة، فوالدي -رحمه الله- كان تاجرًا يتاجر في أشياءَ كثيرة، ولم يكن مهتمًا بعالم الفكر رغم أنه كان متحمِّسًا معي، لكن في داخل الأسرة كان يوجد -مثلا- خالي الأستاذ (إبراهيم حلبي) كان رئيس حزب الوفد في دمنهور، فهذه متتالية مختلفة تمامًا عن والدي، وهناك -

(36) **الفلكلور**: هو مجموعة الفنون القديمة، والقصص، والحكايات، والأساطير المحصورة بمجموعة سكانية معينة في أي بلد من البلاد، ويتم نقل المعرفة المتعلقة بالفلكلور من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية غالبًا، وقد يقوم كل جيل بإضافة أشياء جديدة، أو حذف أشياء لتتوافق في النهاية مع واقع حياته التي يعايشها، وهذا الإبداع ليس من صنع فرد، ولكنه نتاج الجماعة الإنسانية ككل في مجتمع ما.

وأصل كلمة فلكلور جاء من اللغة الألمانية، ويقابلها في اللغة العربية كلمة (التراث)، وهو إرثنا عن أسلافنا من الثقافة.

أيضًا- زوج أختي كان مُدرِّسًا للغة العربية يهتم بالأدب، والفنون، ويشجعني على هذا، وعلاقة الطالب بالمدرس في دمنهور الثانوية كانت علاقة قوية جدًّا، فبالتالي ساعدني كثير من المدرسين على اكتشاف نفسي، إلى جانب هذا الفلكلور في دمنهور تُوجَدُ كمية الأناشيد التي كنت أحفظها وأنا طفل، وكانت كمية ضخمة جدًّا، منها أناشيد في رمضان، وأناشيد بعد رمضان، وفي موكب رؤية هلال رمضان -مثلًا- الذي يخرج فيه الحرفيون.

أنا أتذكر عربات النقل وهي تحمل كل أصحاب الحرفة الواحدة، فالحدَّادون -مثلًا- كانوا يضعون بعض الحديد، وبعض النار في العربة، ويلونون أنفسهم، ويزاولون حرفتهم.

حقًّا، هذا وصف دقيق لهذا اليوم، وهذا شيء يسر الوجدان.

ومن الأشياء المهمة التي ذكرتُها في سيرتي هو أن المجتمع في دمنهور كان مجتمعًا تراحميًّا -لا يعني هذا عدم أهمية النقود-، فالنقود لا تعني النشاط الاقتصادي، فلم يكنِ النشاط الاقتصادي

مستقلًّا عن النشاط الإنساني كالحال التي نحن عليها الآن، وأَودُّ أن أذكرَ واقعة حدثت لي، فحينما كنت طفلًا جاءتني فتاة كنت أتصور أنها جميلة، ولا أعرف هل كانت جميلة حقًّا، ولكنِّي رأيتها جميلة جدًّا، وكانت تحمل سلة، وقالت: «هل تريدون شراء سلة؟»، وعلى حد علمي أننا لا نريد فقلت لها: «لا نريد»، فنهرتني أمي من الداخل، وقالت لي: «ما يعنيك»، ثم جاءت، واشترتِ السلة بحوالي جنيه، وأنا أعرف أن السلة تساوي خمسة قروش، لكني علمتُ -فيما بعد- أن هذه الفتاة ابنة تاجر أفلس، وكانت هذه هي الطريقة التي تتسوّل بها، حيث إن هذا النشاط الاقتصادي يخبئ نشاطًا إنسانيًّا، والإثنان يختلطان مع بعضهما.

وحينما كنت في السعودية كان يأتي خادمي المصري لأعطيه أجره، فيقول لي: "كفي، ليست هذه المرّة.. "، وحينما حلَّلتُ هذا وجدت أنه يحاول إدخال عنصر إنساني على التبادل الاقتصادي، فيخبرني أنه قد نظَّف منزلي، لكننا من الناحية الإنسانية متساوون.

المجتمع المصري بين التعاقدية، والتراحمية

ولو ذهبتَ ذات مرة إلى الطاحونة التي كنا نذهب إليها في دمنهور؛ لوجدت -عندما تدفع أجر ما طحنتَهُ- أنه لا يُسمَّى أجرًا وإنما يُسمَّى «الوهبة».

نعم ذهبت، وكما ترى فإن النشاط الاقتصادي الغير مستقل عن النشاطات الإنسانية الأخرى، وأنا أتذكر أول مرة حدث فيها (أوكازيون) في دمنهور، وكان والدي -على ما أذكر- حديث عهد بالتجارة، ووضع هذا الأمرُ كلَّ التجار في حالة صدمة، لأن هذا يُصعِّب التنافس، وهذا يعني أن التجار الكبار سيلتهمون التجار الصغار، ويتساءلون ماذا سيحدث للتجار الصغار؟، كما لو كانت هذه هي مسئولية أخلاقية يجب ألا ننساها حينما نمارس النشاط الاقتصادي.

أنت تشير هنا إلى ما يحدث -الآن- اقتصاديًّا، وكأنك تشير إلى رجال الأعمال تحديدًا.

(●) حقًّا، وهذا يُسَمَّى في علم الاجتماع الألماني الانتقال من التراحم إلى التعاقد، ومن الجماعة العضوية إلى الجماعة التعاقدية، فما يُهِمُّ الجماعة التعاقدية هو التعاقد، والبيع والشراء فقط، ولا توجد أيَّة علاقة إنسانية، ولا أي التزام اجتماعي داخلي من جانبي، وهذا ما يحدث مع رجال الأعمال المحدثين، إنها غير مدركة أن هذا البلد لنا جميعًا، وأنهم إن لم يساهموا -اجتماعيًّا- في بناء هذا المجتمع؛ فستؤدي إلى عملية استقطاب غير إنسانية، فقد سمعت -مثلًا- أن أحد الأفراح تكلَّف سبعة ملايين جنيه، أنا أعتقد أن لو كان عندي هذا المبلغ للإنفاق؛ لاجتزئت ستة ملايين، أو ستة ونصف، وأسست بهم ملجأً للأطفال، أو مدرسة باسم العروسين، وبالتالي أضمن أن تستمر ذكراهم العطرة.

بدلًا من صور الفرح، وفيلم (الفيديو) الذي سيذهب إلى إحدى الخزائن.

(●) نعم، سمعت أن هذا الفرح -مثلًا- استوردوا فيه زهورًا غريبة من إندونسيا تكلفت مليون جنيه، زهور غريبة بهذا الثمن

قضت ليلة واحدة، وانتهى الأمر، واشتروا «سمك مدخن»، و«سلامون مدخن» بما يقرب من مليون جنيه، وهكذا، وقُدِّم هذا السمك لأناس يأكلونه في منازلهم، وهم ليسوا في حاجة إليه، فظاهرة الأفراح داخل القاهرة، وخارجها -لأن القاهرة هي مشعل الحضارة بالنسبة للجميع- أصبحت فضيحة تبين أن التعاقد قد غزا هذا المجتمع، وأن الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية، والأخلاقية، والإنسانية، والدينية قد دُمِّرَتْ كثيرًا.

إذن أنت تقرر أننا الآن نعيش في المجتمع التعاقدي.

نعم، إن الحداثة المنفصلة عن القيمة بدأت تغزونا أيضًا، لأن الناس ينظرون إلى البيع والشراء باعتباره بيعًا وشراءً، وأن الربحَ ربحٌ منفصل تمامًا عن هذه المسؤولية الاجتماعية، وأعتقد أن هذا كان مختلفًا في دمنهور في طفولتي حيث كان التجار دائمًا يتصدّقون، وهذا يشبه -إلى حد ما- شهر رمضان، ففي شهر رمضان يتحوّل هذا المجتمع من مجتمع تعاقدي إلى مجتمع تراحمي،

ويتسابق الناس في ذلك، فلماذا لا تصبح كل الشهور مثل رمضان مثلًا؟

أسطورة أبو حصيرة

نعود إلى دمنهور مرة ثانية؛ هل تذكر أنه كان هناك ضريح أبو حصيرة[٣٧] كان بالقرب من دمنهور؟

نعم

هناك من يقول إنه وليٌّ يهودي، وإنه كان يركب حصيرته، ويعبر إحدى القنوات في دمنهور أظنها ترعة الخندق... روايات عدة قد نسجت حو هذا الموضوع، وقيل فيه ما قيل..

---

[37] أبو حصيرة: (توفي ١٨٨٠) هو يعقوب بن مسعود حاخام يهودي، يعتقد عدد من اليهود أنها شخصية "مباركة"، عاش في القرن التاسع عشر، ويقام له مقام يهودي في قرية "دميتوه" في محافظة البحيرة الحالية شمال غرب القاهرة في مصر.

ولد يعقوب بن مسعود "أبو حصيرة" في جنوب المغرب، حيث تَذكُرُ رواية شعبية يهودية أنه غادر المغرب لزيارة أماكنَ مقدسة في فلسطين إلا أن سفينته غرقت في البحر، وظل متعلقًا بحصيرة قادته إلى سوريا، ثم توجه منها إلى فلسطين، وبعد زيارتها غادرها متوجهًا إلى المغرب عبر مصر، وتحديدًا إلى دميتوه في دمنهور ليُدفن في القرية في ١٨٨٠ بعد أن أوصى بدفنه هناك.

القصص كثيرة حول (سيدي أبو حصيرة) كما نُسمِّيه، وهكذا -دائمًا- الحال مع كل الأولياء، أنا أعتقد أنَّ محاولة إنكار - مثل هذه- محاولة مخطئة، يجب أن نؤكد أن (أبو حصيرة) هذا عربيٌّ، وأنه أقام في مصر، وأن ضريحه ضريح مصري مقام في دمنهور، وإن أراد اليهود -من أنحاء العالم- زيارته؛ فيمكنهم زيارته كسوَّاح فليس هناك ما يمنع هذا، وهذا ما ننوي فعله -بإذن الله- في القدس، حينما نعود إلى القدس لا يمكن للمسلمين أن يحرموا اليهود من التَّعَبُّد في أماكن العبادة الخاصة بهم، لكن يجب أن يأتي كيهودي يريد التعبد، أو يريد الزيارة، هذا هو الخُلُقُ الإسلاميُّ الحديث الذي لا يحرم أحدًا من ممارسة شعائره كيفما كانت، قد نجد بعض هذه الشعائر خرافيَّةً غيبيَّةً لكنَّه حرٌّ في اعتقاده، لكن لا يأتي -أبدًا- باعتباره إسرئيليًّا صهيونيًّا، وأنه من حقه السياسي أن يفعل كذا وكذا، فنحن -كمجتمع عربي، وإسلامي يعرف التسامح- يجب أن نسمح له بأن يأتي للزيارة، أما

الموقف الحالي فما هو إلا محاولة لإثبات شيء بعينه، وهو موقف متعصب، يزيد من تعصب هذا المجتمع، ونحن في غنًى عن ذلك.

المسيري، والحياة السياسية

أنا أحاول -بتذكيرك بقصة (أبو حصيرة)- أن أرصد المؤثرات الأولى التي لفتَتِ انتباهك، وركَّزَتِ اهتماماتِك في قضية فلسطين، وقضية الصراع العربي الإسرائيلي، فبعد ذلك سنة ١٩٤٨ وقعت حرب فلسطين، وبدأتم -كجيل معاصر لهذا- تحِسُّون بشيءٍ غريب يحدث.

حقًّا، ولا تنسَ أننا كنا ننضج سياسيًّا في وقت مبكر للغاية، وأنا أذكر أني انضممت -في الخمسينيَّات- إلى حزب مصر الفتاة[٣٨]، والحزب الوفدي[٣٩]، وبعد ذلك حينما قامت هيئة التحرير

---

[38] حزب مصر الفتاة: هي حركة سياسية قومية مصرية، بدأت في ١٢ أكتوبر ١٩٣٣ بقيادة أحمد حسين متأثرة بالحركات القومية في تلك الفترة، وظلت طوال عشرين عامًا تحارب الاستعمار، والإقطاع، والرأسمالية المستقلة، ونظام الحكم الفاسد باذلين في ذلك أرواحهم، ودماءهم، وحرياتهم، وأرزاقهم في سبيل تحقيق ما آمنوا به، وقد ادعت الحركة -بعد نشأتها- أنها حركه إسلامية، وعمدت إلي مهاجمه الحانات في القاهرة، وتدميرها في

سنة ١٩٥٢ انضممت إليها لفترة وجيزة إلى أن غيرت من أفكاري السياسية، فكما كنا ننضج، كنا نحارب الإنجليز -أيضًا- في سن مبكرة للغاية، نحاربهم عن طريق إلقاء الحجارة-مثلًا- في المعسكر الإنجليزي في دمنهور، وكان يوجد -أيضًا- جيش مرابط أمام ملعب كرة القدم الآن، وكنا نذهب يوم الخميس نُحَيِّ الجنود الإنجليز؛ فيخرجون لتحيتنا؛ فنلقي عليهم الحجارة، ونختفي في شوارع دمنهور، وهذا ما جعلني أتنبأ بالانتفاضة الفلسطينية قبل وقوعها، وقد كتبت مقالًا عام ١٩٨٤ أي قبل الانتفاضة بأربعة أعوام تُسمَّى «إلقاء الحجارة في الضفة الغربية» أتنبأ فيه باندلاع الانتفاضة، وأن إلقاء الحجارة سيكون السلاح الأساسي، وهاجمني

عمليات تمت تغطيتها من قبل الصحف المصرية في هذا الوقت، واتخذ مؤسس الحركة (أحمد حسين) لنفسه لقب الزعيم تشبها بهتلر وموسوليني، وارتدت جماعته القمصان الخضراء.

[39] حزب الوفد: حزب سياسي شعبي ليبرالي، تشكل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة ٢٣ يوليو المصرية التي أنهت عهد الملكية، وحوَّلت البلاد إلى النظام الجمهوري، ولم يعد الحزب إلى نشاطه السياسي إلا في عهد الرئيس أنور السادات بعد سماحه للتعددية الحزبية، وقد اتخذ لنفسه اسم حزب الوفد الجديد سنة ١٩٧٨م.

الكثيرون وقتها، وسخروا مني، لكنَّ ذاكرتي -كطفل- في دمنهور قد طرحت هذا النموذج كنموذج يمكن أن يتكرر.

المسيري، والماركسية، والصهيونية

أعتقد أن هذا الوعي بالصراع العربي الإسرائيلي تبلور عندك تقريبًا في عام ١٩٥٦ مع العدوان الثلاثي[40]، ثم اكتمل بعد ذلك في حرب[41] ١٩٦٧ لكن قبل ذلك سافرتَ في بعثة عام ١٩٦٣ حصلتَ فيها على الماجستير من جامعة (كولومبيا) في

---

[40] **العدوان الثلاثي**: هي حرب وقعت أحداثها في مصر في ١٩٥٦م، وكانت الدول التي اعتدت عليها هي بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل على أثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، كما تعرف -أيضًا- هذه الحرب بحرب ١٩٥٦.

[41] **حرب ١٩٦٧، أو نكسة ٦٧، أو حرب الأيام الستة**: هي حرب حدثت عام ١٩٦٧ بين إسرائيل وكل من مصر، وسوريا، والأردن؛ وبمساعدة من لبنان، والعراق، والجزائر، والسعودية، والكويت انتهت بانتصار إسرائيل، واستيلائها على قطاع غزة، والضفة الغربية، وسيناء، وهضبة الجولان.

تُعد حرب ١٩٦٧ الحرب الثالثة ضمن سلسلة حروب خاضتها إسرائيل ضد العرب في ما سُميَ بالصراع العربي الإسرائيلي، وقد انتهت باستيلاء إسرائيل على كامل دولة فلسطين هذه المنطقة الجغرافية التي كانت السلطة القائمة عليها ما بين عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٤٨ تدعى حكومة فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

الولايات المتحدة، وهناك تقول إنك كنت ماركسيًّا، وصهيونيًّا إلى حد ما إلى أن قابلت فتاة يهودية -زميلتك في الدراسة- في هذه الجامعة، فكيف كان ذلك؟

أُعَدِّلُ هذا وأقول إنه من الممكن أن أكون ماركسيًّا، لكن الأهم من هذا هو الإيمان بالنموذج المادي، كنت أتصور أن كل شيء يمكن تفسيره بطريقة مادية إلى أن ارتطمت بظاهرة الإنسان، الإنسان لا يمكن تفسيره ماديًّا ، إن فسَّرته ماديًّا؛ فهو ليس بإنسان، وبالتدريج بدأت أنسلخ من الرؤية المادية، حتى حينما كنت ماركسيًّا كنت أؤمن ببعض الجوانب الماركسية التي تتحدّى الرؤية المادية كمفهوم الاغتراب، ومفهوم الإرادة، ومفهوم التجاوز، وهذه كلها مفاهيم قلقة داخل الماركسية، ولذلك كان من أهم المفكّرين، أو الناظرين الماركسيين الذين أقرأ أعمالهم «روجيه جارودي»[٤٢] لأنه كان يكتب سيرة ماركس بطريقة جديدة جدًّا،

---

[42] روجيه جارودي: ولد في ١٧ يوليو ١٩١٣م في مرسيليا، فرنسا، هو فيلسوف، وكاتب فرنسي؛ خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب في الجلفة (جزائر)، وكان جارودي

مختلفة عن السيرة التقليدية، وكلّها مثل جارودي، وغيره يؤكدون عنصر الإرادة، والتجاوز عن العنصر الاقتصادي، بينما الرؤية المادية تؤكّد أن العنصر الاقتصادي هو العنصر الأساسي والغالب، كما ترى أني كنت أقول إني ماركسيٌّ ولكن بمعنى مختلف إلى حد ما، وظل الاختلاف يزداد إلى أن أصبح من العسير عليَّ تبني الرؤية المادية لتفسير الواقع، وجدت أن الرؤية المادية تصلح لتفسير بعض جوانب الواقع، تصلح لتفسير النزلة الشعبية عند الإنسان، تصلح لتفسير سيارتي، أو غسالتي الكهربائية بكفاءة عالية، لكن ما يدور داخل عقلي ووجداني، أو ما يدور داخل عقلك ووجدانك فمسألة تحتاج إلى شيء أكثر تركيبًا من النموذج المادي، ومن خلال هذا وجدت أن الإنسان كائن غير طبيعي، يتحدّى القوانين الطبيعية،

شيوعيًّا، لكنه طُرِد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٧٠م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفيتي، وبما أنه كان عضوًا في الحوار المسيحي الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذبًا للدين، وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات، ثم ما لبث أنِ اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢م متخذًا اسم (رجاء).

هذا فتحَ البابَ إلى الله، ولذلك أقول إن الإيمان -في رأيي- لا يبدأ من الله إلى الإنسان، وإنما يبدأ من الإنسان إلى الله، وظل هذا هو جوهر الأساس، أو الأساس الذي يستند إليه انسلاخي من المنظومة المادية، وأسميها من ضيق المادية إلى رحابة الإنسانية، لأن الرحابة الإنسانية هي باب مفتوح إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الغيب.

فتقدمتَ إلى الإسلام، ولا أقول عدتَ إلى الإسلام، وإنما تقدمت إليه.

نعم ، لأن تراثي في دمنهور، وذكرياتي كانت عنصرًا أساسيًّا كامنًا في وجداني، وفي ذهني، وبحيث إن العودة كان ممثلة في التقدم كما ذكرت، تأتي بعد ذلك مسألة الصهيونية.

إسلاميون لا ماركسيُّون

يمكن تبرير هذا الانتقال -من الماركسية إلى الإسلامية- بأنه شيء وارد، وتكرر في حالات كثيرة رأيناها مثل "روجيه

جارودي"، وعلى مستوى مصر -مثلًا- الأستاذ (عادل حسين)[43]، والمؤرخ (طارق البشري)[44]، وغيرهم، لكن ما هو التفسير لكونك صهيونيًّا إلى حد ما؟

---

(43) **عادل حسين**: صحفي مصري، و مفكر سياسي إسلامي، نجح في تكوين نخبة من الصحافيين من شباب الحزب، تربَّوا على يديه منذ توليه إدارة شؤون صحيفة الشعب الصادرة عن الحزب منذ عام ١٩٨٥، وقد اشتهر عادل حسين بانتمائه إلى أسرة اشتهرت بالعمل النضالي، والسياسي منذ الثلاثينيات، والأربعينيات في القرن الماضي.

وقد بدأ عادل حسين عمله السياسي في الثلاثينيات منضمًّا لأخيه (أحمد حسين) في حركة مصر الفتاة، وزاد نشاطه في الخمسينيات بعدما تحول إلى الفكر الماركسي، وارتبط بالتنظيمات اليسارية الشيوعية في مصر، ومنذ أوائل الثمانينيات بدأ حسين يتحول من الفكر القومي، واليساري إلى ساحة الفكر الإسلامي، وساعده على ذلك فترات السجن، التي قضاها في السبعينيات في دراسة كتب التراث الإسلامي.

تُوفِّيَ يوم الخميس ١٥ مارس ٢٠٠١، و شُيِّعت جنازته يوم الجمعة ١٦ مارس ٢٠٠١ عقب صلاة الجمعة من مسجد عمر مكرم.

(44) **المستشار طارق عبد الفتاح سليم البشري**: المفكر، والمؤرخ، والفيلسوف المصري، واحد من أبرز القانونيِّين المصريين المعاصرين، شغل منصب النائب الأول لرئيس مجلس الدولة المصري، ورئيس الجمعية العمومية لقسمي الفتوى والتشريع عدة سنوات، وترك ذخيرة من الفتاوى، والآراء الاستشارية التي تميزت بالعمق، والتحليل، والتأصيل القانونيِّ الشديد، ولد عام ١٩٣٣ في حي الحلمية في مدينة القاهرة، وتخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٣م، وعُيِّنَ بعدها في مجلس الدولة.

(●) قبل أن أتحدث عن الصهيونية أحب أن أشير إلى أن معظم هؤلاء قد انتقلوا من المنظومة المادية في السبعينيات -مع بداية أزمة الحداثة الغربية-، وأن هذه مسألةً أساسية على مستوى العالم، وليس على مستوى العالم الإسلامي فقط، ومن ثَمَّ الانتقال إلى الإسلام -هنا- جزء من منظومة عالمية، وأصبح التفسير المنفصل عن القيمة مستحيلًا، فكان لابد أن نبحث، وندرس هذه الظاهرة، وكانت ثمرة بحثنا أن وجد الكثيرون منا أن الإسلام -كمنظومة- لا يتعارض مع الحداثة، لكنه لا يجعل الحداثة تقتل الإنسان.

نأتي - الآن- إلى مسألة الصهيونية، أُعَدِّلُ هذا بقولي: إنني كنت أنظر إلى القضية الفلسطينية نظرة أخلاقية إنسانية، أصبحت مشكلة لاجئين تُقَدَّمُ لنا، لو كانت مشكلة لاجئين؛ فحلها بسيط

بدأ تحوله إلى الفكر الإسلامي بعد هزيمة ١٩٦٧م، وكانت مقالته "رحلة التجديد في التشريع الإسلامي" أول ما كتبه في هذا الاتجاه، وهو ما زال يكتب إلى يومنا هذا في القانون، والتاريخ والفكر.

وهو أن نُوَطِّنَ بعض الفلسطينيين عندنا، ويعود البعض الآخر - خاصة أن إسرائيل كانت تعلن آنذاك أنها على أتم استعداد لتوطين عدد من اللاجئين- لبلادهم، فالمسألة كانت بسيطة خاصة وأن الإعلام العربي -في ذلك الوقت- كان فقيرًا للغاية، بمعنى أن أي إنسان ذكي كان يرفضه برغم أنه كان يقول الصدق في كثير من الأحيان، إلا أنه كان يقول الصدق بطريقة ممجوجة تجعل من الصعب على إنسان مثلي أن يتقبله.

حينما ذهبت إلى الولايات المتحدة، وقابلت هذه الفتاة حدث أمران في غاية الاختلاف؛ أولهما حينما سألتها عن جنسيتها قالت: يهودية؛ فقلت لها : "أنا أسألك عن جنسيتك، وليس عن دينك" - خاصة وأنا أعلم أنهم يفصلون الدين عن الدولة-، فقالت : "أنت لا تفهم شيئًا، أنا يهودية، وجنسيتي يهودية"، في هذه الحالة بدأت أشعر بالخطأ؛ وثانيهما حينما ذهبت -أنا وأمي- إلى منزلها قالت عكس ذلك، وبررت هذا بأنها كانت تستفزني، ولكنها في نهاية الأمر كانت تسخر من اليهود جدًّا، وتسخر من أمها بسبب لَكْنَتِها،

وقالت عن تجربتها في «الكيبوتس»[٤٥] أنها حينما ذهبت للكيبوتس ذهبت لتبحث عن عريس، وفوجئت أن جميع شباب الكيبوتس مفتون بها، لا لأنها جميلة، أو لأي شيء كهذا، وإنما لأنهم يودون الزواج منها للذهاب إلى أميركا، فالصورة مختلفة، وأذكر دائمًا هذا الشاب العراقي اليهودي الذي ذهب، واستوطن إسرائيل منذ عامين، ثم ذهب إلى الولايات المتحدة، وقابلته في إحدى المقررات؛

---

(45) **"الكيبوتس" أو "كيوبتس"**: هو تَجَمُّعٌ سكني تعاوني، يضم جماعة من المزارعين، أو العمال اليهود الذين يعيشون، ويعملون مع بعضهم، ويبلغ عددهم ما بين ٤٠، و١٥٠٠ عضوًا.

ويُعدُّ الكيبوتس من أهم المؤسسات التي تستند إليها الحركة الصهيونية في فلسطين (قبل ١٩٤٨)، أو إسرائيل (بعد تأسيسها) والتي أثرت على الحياة السياسية والاجتماعية في إسرائيل حتى بداية الثمانينيات وقتما بدأ انحطاطها، وهو مؤسسة فريدة مقتصرة على المجتمع الصهيوني، إذ لا توجد أية مؤسسة تضاهيها في الشرق الأوسط، أو خارجه.

والكيبوتس هو كيان مستقل -إداريًا- عن السلطات المحلية، ويوفر خدمات تعلمية، وصحية، وحرفية معتمدًا على جهود ذاتية للمقمين فيه، ويَلْقَى دعمًا من الدولة العبرية، وقد اختُرع هذا الأسلوب في الإدارة لكي يعالج أشكالية تواجد الأقلية اليهودية في فلسطين بحيث يحتكم اليهود فيما بينهم لقواعدَ، وقوانينَ، وتشريعات تخصهم وحدهم، ولا يلجئون لأجهزة الدولة إذ إنهم لا يؤمنون بمعتقدات تلك الدولة، أو شرائعها.

فعاملني بعنف شديد، لكن رغم ذلك قامت صداقة بيننا، وكان يأتي إلى منزلنا، وزوجتي تعد له الطعام، ويستمع معنا إلى أم كلثوم، والقرآن؛ وقال إنه لا يجد نفسه إلا في هذا المنزل، ثم فوجئنا بعد ذلك أنه قال: إن الأشكناز[٤٦] يحتفظون بعناوين أقاربهم..

يهود الأشكناز ذوو الأصل الغربي.

---

[46] **يهود الأشكناز**: هم اليهود الذين ترجع أصولهم إلى أوروبا الشرقية، و(أشكناز) هو اسم يذكر في التوراة، وكان يُستخدم عند الأدباء اليهود إشارة إلى ألمانيا، وعلى الأخص المنطقة الواقعة على نهر الراين؛ لذلك أطلق على يهود ألمانيا اسم أشكنازيين، وجرى التوسع في استعمالها لاحقا للإشارة إلى يهود أوروبا الشرقية، والوسطى، والغربية ما عدا يهود البلقان الذين كانوا من السفاراديين.

يتميز يهود الأشكناز بتكلم اللغة اليديشية التي تطورت من لهجة ألمانية قديمة تأثرت بلغة العبرية، واللغات السلافية، وقد تقلص عدد الناطقين بلغة (يديش) بعد الحرب العالمية الثانية حيث يتكلم أغلبية يهود الأشكناز اليوم بالعبرية (خاصة في إسرائيل)، أو بالإنجليزية (في الولايات المتحدة)، و يعتبر الأشكناز هم غالبية اليهود المعاصرين (٨٠٪) بعد إصدار كتاب (القبيلة الثالثة عشرة) من قِبَل (أرثور كيستلار)، وقد ثبت أن كل يهود الأشكناز ليسوا ساميين، ولا ينتمون إلى الشرق الأوسط، بل هم عرق تركيٌ- مغوليٌ، ولم يسكنوا الشرق الأوسط قط.

(●) بالطبع، هم من أصل غربي؛ وأكمل كلامه قائلًا: إنه حينما تنتهي إسرائيل؛ سيجدون مكانًا يفرون له، ويتركوننا نحن إلى مصيرنا.

وكانت هذه هي أول مرة في حياتي -في عام ٦٥- أسمع عن نهاية إسرائيل.. وأسمعها هذه المرة من إسرائيلي سابق، بمعنى أن تجربتي مع الصهيونية مختلفة..كل هذا جعلني أقرر أن أتخصص في هذا المجال، وألَّا أتخلى عن الرؤية الأخلاقية الإنسانية، وأن أحتفظ بها كإطار عام..لكن هناك جانب سياسي يشي بأن هذا الكِيان ليس كيانًا يهوديًّا فَحَسْب كما يقولون، وإنما هو كيان مركبٌ تابعٌ للغربية إلى أن توصلتُ -بعد تخصصي في هذا المجال- إلى أنه كيان استيطانيٌ، إحلالي، لا يختلف كثيرًا عن الكيان الاستيطاني في الجزائر، أو الكيان الاستيطاني في جنوب أفريقيا التي كنا نحارب ضدها في ذلك الوقت.

تحيز الحضارة الغربية

تحاربون العنصرية.

بالطبع، وقد اتَّضح لي مدى تحيُّز، وتناقُض الحضارة الغربية، فبينما كانوا يهاجمون الفرنسيين في الجزائر بسبب عنصريتهم، ويهاجمون جنوب أفريقيا بسبب عنصريتها، يؤيدون إسرائيل تمامَ التأييد، بينما يهاجمون النازيين؛ لأنهم أبادوا اليهود حَسْبَ قولهم، يتركون اليهود في مستوطنة صغيرة يَعْثَوْنَ في الأرض فسادًا، ويذبحون كما يشاءون، وكان الإعلام الغربي غريبًا في ذلك الوقت.

هناك شهادة من مفكر غربيٍّ، أو محلل غربي يفسر لنا هذا التحيز الأميركي، والغربي لإسرائيل -الذي نشكو منه دائمًا- فيقول: إن إسرائيل توفر للولايات المتحدة مليارات الدولارات التي لو لم تكن إسرائيل موجودة في موقعها الحالي لاضطرت أميركا إلى إرسال عشر حاملات طائرات في البحر المتوسط تكلِّفها خمسين

مليار دولار سنويًّا، أمَّا إسرائيل فلا تكلفها سوى عدة مليارات فقط.

((●)) حقًّا، وقد أضاف صديقي الإسرائيلي ضاحكًا: (بعد كل هذا، أين الفرق إذن؟)، بمعنى أنه قدَّم لي كشف حساب، وأنا أتفق مع هذا، فأنا لا أشكو من تحيز الغرب، وإنما أدرسها، وأحاول تفسيرها؛ فمثلًا أنا أرى أن المبالغة، أو التركيز على جريمة النازيين الهدف منها أولا إخفاء الجريمة الغربية ضد الشعوب الأخرى؛ لأن هذه حضارة أبادت ستة ملايين -أيضًا- في أمريكا الشمالية، فهذا الرَّقْمُ السحري قديمٌ جدًا.

أبادت ستة ملايين من الهنود الحمر[47].

---

[47] **الأميركيون القدماء، أو الهنود الأميركيون، أو الهنود الحمر**: هم السكان الأصليون للقارتين الأميركيتين قبل عصر كريستوفر كولمبس، وسُمُّوا (الهنود الحمر) لأن كريستوفر كولمبس ظنَّ خطأ أنه في الهند عندما اكتشفها، والهنود الحمر أول من زرعوا التبغ، وحرقوه، واستنشقوه بقطعة خشبية شبيهة بالبايب، والهنود الحمر أول شعوب تكتشف الأرقام، والرمز إليها، وكانوا متقدمين جدًّا قبل ميلادالمسيح بحوالي ٣٧٠٠ سنة، ولكن بسبب كسلهم الشديد، وانتشار الأمراض -بسبب التدخين-، وانتشار الخرافات ظلوا كما هم حتى تخلفوا تمامًا عن العالم؛ فجائت أوروبا، واستولت على أراضيهم بالكامل، وأغلب



هذا حَسْبَ إحصاءات قرأتُها تقول: إن من وصل من الأفريقيين إلى القارتين الأميركيَّتَيْن هو عشرة ملايين، لكن أمام كل أفريقي يصل كان يُقْتَلُ تسعة أشخاص، معنى ذلك أن القارة الأفريقية نُهِبَتْ لا من موادها الطبيعية فقط، وإنما من مواردها البشرية أيضًا، أو من أساسها البشري حيث تم إبادة تسعين مليونًا.

أي أن انجلترا، والبرتغال، وإسبانيا، وفرنسا - إلى آخر هذه الدول الاستعمارية- استعمرتِ الأرض؛ أمَّا أميركا، وأوائل المهاجرين إليها فقد استعمروا الإنسان الأفريقي، وقتلوه، وأبادوه.

سكان الهنود الحمر الأصليين يعيشون حاليًا في بيرو، وبعض الإحصاءات تقول: إنهم مهددون بالانقراض.

نعـم، واسـتمروا بعـد ذلـك في فيتنـام[٤٨]، والبوسـنة[٤٩]، والشيـشان[٥٠]، وكوسـوفو[٥١]. فالإبـادة جـزء مـن هـذا التـشكيل

---

(48) **فيتنام**: جمهوريـة اشـتراكية في جنوب شرقـي آسيا عـلى خليج تـونكين، وبحـر الـصين عاصـمتها هـانوي، وتقـع في أقـصى شرق شبه جزيـرة الهند الـصينية، وتحـدها مـن الـشمال الصين، ومن الشرق خليج تونكين، ويحدها من الغرب لاوس، وتايلاند، وكمبوديـا، ومـن أهم مدنها مدينة هوشي منه، أو سايغون سابقاً، و هايفونغ.

(49) **جمهورية البوسنة، والهرسك**: هي دولة تقع في البلقان بجنوب شرق أوروبـا، وإحـدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة...تقـع في جنـوب أوروبـا، يحدها مـن الـشمال، والغـرب، والجنوب كرواتيا، ومن الشرق صربيا، ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود، وتكـاد تكون دولة مقفلة لا ساحل لها على البحر مـا عـدا شريـط سـاحلي طولـه ٢٦ كيلـومترًا عـلى البحر الأدرياتيكي تقع في منتـصفه مدينـة نيـوم الـساحلية، وتعتـبر البوسـنة إحـدى المنـاطق الجغرافية الضخمة التي لها مناخ قاري معتدل، حيث تكون حارةً صيفًا، وباردة مـع هطـول الثلوج شتاءً.

تعتبر البوسنة موطنًا لثلاث عرقيات أساسية؛ البوشناق، وهم أكبر المجموعات العرقية الثلاث، يليها الصرب، ثم الكروات، وهذا الفارق جغرافيٌّ، وليس فارقًا عرقيًا.

(50) **جمهوريـة الشيـشان**: إحـدى جمهوريـات الاتحـاد الـسوفيتيِّ سـابقًا، وتعتـبر إحـدى جمهوريات الاتحاد الروسي حاليًا، تقع الشيشان في منطقة جبال القوقاز التي تمتد بطـول ٦٠ ميلًا ما بين البحر الأسود غربًا، وبحر قزوين شرقًا...وتشكل هذه الجبال سلسلة متواصلة، ومتوازية يزداد ارتفاعها تدريجيًا كلما اتجهنا نحو الجنوب، لتصل أعلاها عند قمة (جبل

البروز) ، وارتفاعها ١٨٤٨١ قدمًا، وهي تقع في الشمال الغربي، بينما تقع قمة (مونت قزيك) -التي يصل ارتفاعها إلى ١٦٥٥٨ قدمًا، وتحيط بكل من الشيشان، وأنجوشيا، والشيشان الدولة- في الجنوب إلى موسكو بحوالي ١٠٠٠ ميل، ويحدها كل من داغستان، وجورجيا، وجنوب أوسيتا من الجنوب، وداغستان، وروسيا شمالًا، وأوسيتا الشمالية، وأنجوشيا غربًا؛ ويبلغ عدد السكان في الشيشان ١.٥ مليون نسمة، والأنجوش ربع مليون نسمة.

[51] **كوسوفو، أو كوسوفا**: كانت محط خلاف سياسي بين صربيا، وألبانيا بسبب كثرة سكانها الألبان، ومطالبة ألبانيا بها حتى أعلن البرلمان الكوسوفي بالإجماع أستقلالها يوم ١٧ فبراير لعام ٢٠٠٨، وأعلن برشتينا عاصمة لها.

تحدها جمهورية مقدونيا من الجنوب الشرقي، وصربيا من الشمال الشرقي، والسنجق والجبل الأسود من الشمال الغربي، وألبانيا من الجنوب... عاصمتها بريشتينا، ويبلغ عدد سكانها مليونين وثلاثمائة ألف نسمة، وتبلغ مساحتها ١٠٥٧٧ كم٢، ونسبة المسلمين ٩٠٪ من الألبانيين، و٥٪ صرب، و٥٪ قوميات أخرى، تغلب على الأرض السهول الخضراء المحاطة بالجبال، والتلال، وتجري فيها أربعة أنهار، وفيها ١٧ بحيرة، ومع ذلك فإن الوضع الاقتصادي فيها مزري بسبب التمييز العرقي، حيث تبلغ نسبة البطالة بينهم حوالي ٥٠٪ بينما كانت تبلغ في صربيا قبل الانفصال ١٨.٨٪، وهي دلالة بالأرقام على الاضطهاد الذي كان يعانيه أقليم كوسوفو من قبل الصرب... قبل الاستقلال كان -وما زال- إقليم كوسوفو معروفًا بالأرض الحبيسة لأنه غير مطل على أية منفذ بحري، وكوسوفو هي أفقر دولة في يوغوسلافيا السابقة، والاتحاد الأوروبي هو أبرز جهة مانحة له، لكنها منطقة غنية بالمعادن مثل الرصاص، والزنك، والفضة، والكروم، والحديد، والنيكل، والفحم الحجري.

الحداثي الإمبريالي المنفصل عن القيمة، وقد قرأنا منذ قليل أن (المارشال مونتجمري)[52] طالبَ القوات البريطانية باستعباد أفريقيا بأثْرِها، وتحويل الأفريقيين إلى عبيد، يعملون لصالح الإنسان الأبيض؛ هذه التركيبة الحضارية لابد من تخطئتها، وبعد كل هذا يتهمون الألمان النازيين بالعنصرية في مرحلة محددة من تاريخهم، بحيث ننسى الكل، ونركّز على الجزء، إلى جانب أن التركيز على جريمة في الماضي؛ يجعلنا لا ننظر إلى جرائم الحاضر، بمعنى أن يقول اليهود (لن ننسى أبدًا)، فنقول لهم: ما قولكم في البوسنة... البلد الذي أُبيد نصف شعبه، وما قولكم في فيتنام، فالحضارة

---

[52] **برنارد مونتغمري (١٧ نوفمبر ١٨٨٧ - ٢٤ مارس ١٩٧٦)**: كان مشيرًا في الجيش البريطاني، واستطاع قيادة قوات الحلفاء إلى الانتصار في معركة (علم حلفا)، وفي معركة العلمين الثانية عام ١٩٤٢، وتحقيق النصر على قوات المحور بقيادة ثعلب الصحراء (إرفن روميل) خلال معارك الحرب العالمية الثانية، ويرجع له الفضل في هزيمة قوات المحور في شمال إفريقيا كله، وبعد ذلك انتقل لقيادة الجبهة في إيطاليا، وشمال غرب أوروبا، وكان من قادة الحلفاء في معركة النورماندي التي نزل فيها الحلفاء إلى أوروبا لمواجهة القوات النازية، والتقدم نحو برلين.

الغربية من مصلحتها تضخيم مسألة (الهولكوست) حتى ننسى الماضي الإبادي، وننسى الحاضر الإبادي أيضًا.

الحاضر الإبادي، والمستقبل الإبادي أيضًا.

بالطبع، وذلك إن لم توقف هذه الإبادة.

وبعد قصة الطالبة اليهودية في جامعة كولومبيا التقيتَ - أيضًا- بالدكتور أسامة الباز[٥٣] الذي كان طالبًا في الجامعة في هذا الوقت، وزميلًا لك.

هذا صحيح، وكنا ندعوه لإلقاء بعض المحاضرات في جامعتنا، وكنا مشتركين في النشاط الطلابي، وبدأ يهتم بما أكتب،

---

[53] **أسامة الباز (١٩٣١م)**: هو المستشار السياسي للرئيس المصري محمد حسني مبارك، من مواليد مدينةالزقازيق محافظة الشرقية، خريج كلية الحقوق جامعة القاهرة، وحاصل على دكتوراه في القانون من جامعة هارفارد، شارك في اتفاقية (كامب ديفيد)، وصياغة معاهدة السلام عام ١٩٧٩، وهو مؤلف كتاب (مصر، والقرن الحادي والعشرين)، وتولى الملف الفلسطيني-الإسرائيلي لفترة طويلة، وهو شقيق عالم الجيولوجيا بوكالة ناسا (فاروق الباز).

وكان أول من طلب مني أن أتخصص في الصهيونية، وحينما عدت دعاني إلي المعهد الدبلوماسي.

حينما عدت إلى مصر.

نعم، حينما عدت إلى مصر عام ٦٩ دعاني إلى المعهد الدبلوماسي؛ فألقيت سلسة من المحاضرات تشكل كتاب "نهاية التاريخ" الذي أخذه، وكتبه بنفسه، وهو يحب الخط العربي جدًّا، وكتب غلافه بنفسه، حينما عُيِّن الأستاذ هيكل مدير وزير الإرشاد قدمني له كي أكون أحد المستشارين، وتبنّاني الأستاذ هيكل من البداية حتى الآن، وأنا أتذكّر -حينما عُيِّنْتُ في مركز الدراسات- أنه أعطاني بضعة آلاف من الدولارات، وذهبت للولايات المتحدة، واشتريت كتبًا كثيرة تشكل اهتمامي، وأساس دراستي للصهيونية، وشجعني كثيرًا؛ وعبر الربع قرن الماضي كنتُ أقابل الأستاذ هيكل بشكلٍ شبه دوري، وأنا من سعداء الحظ في هذا؛ لأنه كان دائمًا يناقشني في كل ما أكتب، ودائمًا يشجعني على ذلك.

نقطة التقاء بين المسيري والباز

ما هي نقطة الالتقاء بين فكر سيادتك، وبين فكر الدكتور أسامة الباز، وفكر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل؟ هل هي مناهضة التضليل الإسرائيلي؟ أم أن هناك نقاطًا أخرى؟

أنا أعتقد أن مناهضة الغزو الصهيوني -في تصوري، وليس في تصورهما- هو ما يجمعنا، ولكن ما يجمعنا أكثر من هذا هو العقلانية..

العقلانية!!

نعم، إننا نطالب بالحرب ضد هذا العدو، أو التعامل معه بطريقة عقلانية تلجأ للدراسة، وتلجأ للبحث؛ لأن تصوراتنا عن إسرائيل تصورات تآمرية، بمعنى أننا نرى اليهود شياطين، وأنهم يسيطرون على العالم، وما شابه ذلك، وأنا أعتقد أن الأستاذ هيكل، والدكتور أسامة يتفقان معي في هذا، ومن ثَمَّ فهذه هي الرقعة الكبيرة التي تجمعنا.

شيطنة الصهيونية

هل ترى أننا عندما نقول: «إن الصهيونية شيطان» فإننا بذلك نصنع (شمّاعة) لنُعلِّقَ عليها المشكلة؛ فإذا كانتِ الصهيونية شيطانًا، فمن يقدر عليه؟!!

نعم، والأكثر من هذا أننا نوَلِّد الرعب في أنفسنا، فأنت لا تحارب ضد الشيطان، إنما تحارب ضد البشر، ومن هنا أقول: إن هدف موسوعتي -أو أحد أهدافها- هو أنسنة اليهود، أن نجعل منهم بشرًا، بعض الناس يتصور أن أنسنة أنني أبرِّأهم، وينسون أن الظلم جزء من الظاهرة الإنسانية، والشر جزء من الظاهرة الإنسانية، فأيُّ إنسان قادر على ارتكاب مذابح، وإرهاب الآخرين؛ وهذا ما أوثّقه في موسوعتي، ولعل الشعار السري في موسوعتي هو مقولة (مارك توين)[54] حينما قال: (اليهود بشر، ولا

---

[54] **مارك توين**: اسمه الحقيقي (صمويل لانغهورن كليمنس) هو كاتب أميركي ساخر، ولد في قرية تسمى (فلوريدا) بولاية ميسوري في ٣٠ نوفمبر ١٨٣٥، وعُرِفَ برواياته (مغامرات هكلبيري فين ١٨٨٤) التي وصِفَتْ بأنها (الرواية الأميركية العظيمة)، ومغامرات (توم سوير ١٨٧٦)، وقد نُقِلَ عنه الكثير من الأقوال المأثورة، والساخرة، وكان

يمكن أن أقول أكثر من ذلك عنهم)؛ ومهمة القول أنهم بشر يمكن أن تتعامل معهم حربًا، أو سلمًا، وهذا ما يفعله من يتعامل مع إسرائيل؛ فإن أردت التفاوض فأنت تفترض أنهم بشر، وإن أردت الحرب فأنت تفترض أنهم بشر، أما مسألة شيطنة اليهود فهذه مسألة الهدف منها الاستسلام، أو الهرب، كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

صراع الحضارات في ظل العولمة

طرحت -في صدر شهادتك- قضية الحداثة، وقضية الحضارة، والعولمة، ومنطلقات كثيرة لابد أن نبحر فيها بالتفصيل على مدى الحوار، وفي الواقع أنه لم يَثُر جدلٌ منذ الأربعينيات كما ثَار

صديقًا للعديد من الرؤساء، والفنانين، ورجال الصناعة، وأفراد الأسر المالكة الأوربية، ووُصِفَ بعد وفاته بأنه (أعظم الساخرين الأميركيين في عصره)، كما لَقَّبَهُ (وليم فوكنر) بأبي الأدب الأميركي، وقد ذُكر أن توين قال ذات يوم: (لقد جئتُ إلى هذا العالم مع مُذَنَّبِ هالي سنة ١٨٣٥، وها هو قادم ثانيةً العام القادم، وأنا أتوقع أن أذهب معه)، ولقد صدقت نبوءته؛ إذ تُوُفِّيَ توين بأزمة قلبية في (ريدنغ) بولاية (كونيكتيكت) في الثاني من أبريل ١٩١٠، بعد يوم واحد فقط من اقتراب المُذَنَّب من الأرض.

حول مفهوم صراع الحضارات، وإعادة صنع، أو صياغة النظام العالمي الجديد كما طرحه (هانج تن) في مقاله الشهير عام ٩٣؛ فما هي رؤية سيادتك لهذا المفهوم، وما أَثَارَه من قضايا، وتغيُّرات في ظل مفهوم العولمة الذي بدأ يسيطر على الفكر في العالم العربي؟

(●) بدأ الكثيرون يرون أن العولمة هذه وحيٌ يجب العمل به، وأعتقد أن خطاب الرئيس مبارك الأخير في (دافوس)[55] يبين مخاطر حرية التجارة التي تُعتبر -في جوهر العولمة- إطلاقًا للحريات في رأس المال، وضد كل هذا تفترض العولمة ما أسميه الإنسان الطبيعي، وهذا الإنسان الطبيعي يُفَسَّر -ماديًّا- على أنه مجموعة من الاحتياجات الاقتصادية، وهذه الاحتياجات الاقتصادية يمكن قياسها، وبناءً عليه يمكن التحرك في السوق

---

[55] دافوس: هي مدينة صغيرة تقع على نهر لاندويسر في مقاطعة براتيقو في كانتون غروباندن بسويسرا، تشتهر دافوس بوصفها البلدة المستضيفة للاجتماعات السنوية للمنتدى الاقتصادي العالمي الذي يجتمع فيه نخبة من رجال السياسة، والأعمال من مختلف دول العالم للتباحث حول قضايا سياسية، واقتصادية معينة، كما أنها تعتبر مركزًا للرياضات الشتوية، ويقام فيها بطولة سنوية لهوكي الجليد يستضيفها أحد الأندية المحلية لهذه اللعبة.

العالمية؛ بمعنى أنه أنت -كمصري- لا تختلف احتياجاتك عن الفرنسي، ولا تختلف عن التيلاندي، وتقوم الشركات العالمية أي (الغربية) بالوفاء بهذه الاحتياجات عن طريق السلع؛ وما يحقق سعادة هذا الإنسان الاقتصادي هو كَمُّ السلع التي يستهلكها، ويقولون: إن هذه عملية تبسيط تجعل الصراع مسألة ثانوية، وهذا خطأ؛ لأنه لو كانتِ المسألة -فعلًا- مسألة سلع، واستهلاك فَحَسْب يمكن -إذن- التعامل مع مثل هذه المشاكل، لكن ما ينسونه أن الاستهلاك لابد وأن يتم في إطار من العدل، كما ترى نسترجع القيمة مرة أخرى، فلماذا يظل سعر البترول -مثلًا- منخفضًا بهذا الشكل بينما السلع الصناعية آخذة في الارتفاع، كنا نتصور أنه إذا انخفض سعر البترول؛ تنخفض السلع الصناعية -أيضًا- لكن لم يحدث هذا لـِمَا شَهِده العالم -في العشرين سنة الماضية- من انخفاض مستمر في أسعار المواد الأولية التي تنتجها أسيا، وأفريقيا، وارتفاع مستمر في السلع الصناعية التي ينتجها الغرب؛ وكما ترى أن العدل لا يتوفر رغم أنهم يقولون: (إن تبادلَ

رأس المال، والتكنولوجيا، والسلع يتم في إطار من الحرية)، وهذا كذب حقيقي؛ لأن هناك ظلم، وهناك سيطرة من الغرب... انظر ماذا يفعلون في البطاطس المصرية -مثلًا- يدَّعون أن فيها عيوبًا، وقد تحدثتُ مع بعض المختصين، وقالوا لي: إن هذا مستحيل، ولو كان فيها عيوبًا لتلافيناها في الأعوام التالية كما يحمونها عندهم.

وكذلك ما حدث -أيضًا- في منتجات الملابس المصرية التي صدرت، والحرب الشرسة التي وُجِّهَتْ إليها.

نعم، فالحرية غير موجودة ... والمساواة غير موجودة ... والعدالة غير موجودة، ومن ثَمَّ تصبح العولمة هي النظام العالمي الاستعماري الجديد الذي حل محل النظام العالمي الاستعماري القديم، وعلينا نحن أن ندرك هذا، ونتحرك في إطار هذا.

هل تعتقد أنهم لا يقصدون فقط إعادة صياغة نظام عالمي جديد، وإنما -أيضًا- صياغة نظام إقليمي جديد لهذه المنطقة من العالم؛ ليكون بديلًا لجامعة الدول العربية[٥٦]؟

نعم، فإن الدول الغربية اكتشفت أن المواجهة العسكرية في العالم الثالث مكلّفة جدًّا، ومستحيلة، فهناك الهزيمة في فيتنام ثم حرب ٧٣ ، بل كانوا يتنبأون قبل هذه الحرب بيوم واحد أن المصريين، والعرب متخلفون لدرجة أن أحد أصدقائي أرسل لي (نكتة) من الولايات المتحدة تقول: (إن بعض الطيارين المصريين

---

[56] **جامعة الدول العربية**: هي منظمة تضم دولًا في الشرق الأوسط، وأفريقيا؛ وتعتبر أعضاؤها دولًا عربية، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، ومن ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات، ووثائق وأُذون السفر، والعلاقات الاجتماعية، والصحة؛ المقر الدائم لجامعة الدول العربية يقع في القاهرة، عاصمة مصر -وكانت في تونس من ١٩٧٩ إلى ١٩٩١-، وأمينها العام الحاليّ هو عمرو موسى... المجموع الكلي لمساحة الدول الأعضاء في المنظمة ١٣٩٥٣٠٤١ كم^2، وتشير إحصاءات ٢٠٠٧ إلى وجود ٣٣٩٥١٠٥٣٥ نسمة فيها، حيث إنَّ مجموع مساحة الوطن العربي يجعل مجموعها الثاني عالميًّا بعد روسيا، ومجموع سكانها هو الرابع عالميًّا بعد الصين، الهند، والاتحاد الأوروبي.

يقودون طائرة مقلوبة، ويتحدثون عن انتصار قريب)، أرسلها لي باعتبار أن هذا هو حال التكنولوجيا، وهذه هي الأمة العربية، وهذا هو حال العقل العربي؛ وقد وصلني الخطاب بعد حرب ٧٣؛ فكانت المفاجأة مضحكة جدًّا، فقد هزت حرب أكتوبر كثيرًا من القناعات الغربية، ثم جاءت الانتفاضة، والآن حرب حزب الله، أو حرب اللبنانيين ضد الإسرائيليين؛ كل هذا جعلهم يقتنعون، ويؤمنون -تمام الإيمان- أن المواجهة العسكرية مكلفة، ومستحيلة فلابد من الالتفاف حول العالم الثالث، وبالنسبة للمنطقة العربية يجدون أن توحد هذه المنطقة في أي شكل - حتى ولو كان في شكل الجامعة العربية الهزيل- يهدد مصالحهم، ومن ثَمَّ لابد من تقسيم هذه المنطقة، وهذا ما أخشاه؛ لأن التقسيم عندهم لا يعني مجرد تقسيم كل دولة إلى أقلّيات... وهكذا؛ ولكن يجب على الأقليات - التي تعيش في العالم العربي- أن تدرك نوايا الاستعمار، فهو -دائمًا- يستخدم الأقليات -كقطعة شطرنج- لضرب الأغلبية، ثم يتخلى عنها بعد ذلك، لم يحدث أبدًا أن يقف الاستعمار إلى جانب أقلية

ويؤيدها تمام التأييد، إنما يستخدمها في مصالحه، فمثلًا قيل لي: إنهم في ماليزيا كانوا يؤيدون الأقلية الصينية حتى تتحول إلى فلسطين أخرى؛ لكنَّ ما حدث أن (ماو تسي تونج)[٥٧] تولى الحكم؛ فتخيل أن الأقلية الصينية ستصبح شيوعية؛ فنقل موازين القوى إلى الأغلبية الإسلامية، وأعطاها مقاليد الحكم، وبالتالي فالأقلية الصينية وقعت في مشكلة، وقد حدث نفس الشيء مع (تيمور

---

[57] **ماو تسي تونغ**: ولد في ٢٦ ديسمبر ١٨٩٣ في مقاطعة (هيوفن) من أب فلاح، وعندما كان في الثامنة عشرة من عمره قامت الثورة ضد سلالة (تشينغ)، وبعد شهور من قيامها انتهت الملكية، وأُعْلِنَتْ جمهورية الصين التي لم تَعرِف حكومة مستقرة، فقد كانت قاعدة لحرب أهلية سببتِ الفوضى، وظلت الصين كذلك حتى ١٩٤٩.

كان سياسيًّا، وقائدًا عسكريًّا صينيًّا، له خمسة من الأولاد، بنتان من زوجته الرابعة الممثلة شيانج شينج، وولدان، وبنت من زيجاته السابقة، قُتِلَ ابن له في حرب كوريا، والآخر مترجم روسي في بكين.

أراد ماو أن يصبح أستاذًا؛ فدخل جامعة بكين في ١٩١٨، وهناك اعتنق الشيوعية؛ لكونه يساريًا في أفكاره، وفي عام ١٩٢٠ كان من الواضح أنه ماركسي متعصب كعشرات الصينين، وفي يونيو ١٩٢١ أصبح واحدًا من الاثني عشر الذين أسسوا الحزب الشيوعي في (شنغهاي)، وترقى فيه ببطء فكان زعيمه في ١٩٣٧، وتوفي ماو عام ١٩٧٦م.

الشرقية)[٥٨] حيث سمحوا لإندونسيا بضمها حينما كان هناك نظامًا اشتراكيًّا في البرتغال.

كانوا يتخوفونهم.

نعم، وحينما انتفى وجود هذا النظام الاشتراكي، وأصبحتِ البرتغال جزءًا من المنظومة الأوربية؛ يطالبون الآن

---

[58] **تيمور الشرقية**: (رسميًا جمهورية تيمور الشرقية الديمقراطية) هي دولة تقع في جنوب شرق آسيا، وتضم النصف الشرقي من جزيرة تيمور، و الجزر القريبة مثل (أتاورو، و جاكو، وأوكوسي) التي هي عبارة عن منطقة معزولة في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة داخل تيمور الغربية الإندونيسية، وتبلغ مساحتها١٥٤١٠ كم٢ (٥٤٠٠ ميل مربع) على بعد نحو ٦٤٠ كلم (٤٠٠ ميل) من الشمال الغربي من مدينة داروين الأسترالية.

خضعت تيمور الشرقية للاستعمار البرتغالي في القرن السادس عشر، وكانت تعرف بتيمور البرتغالية حتى إنهاء الاستعمار البرتغالي للبلاد في أواخر عام ١٩٧٥ الذي أعلنت فيه تيمور الشرقية استقلالها، ولكن في وقت لاحق من هذا العام تم غزوها، واحتلالها من قبل إندونيسيا، وأعلنتِ المقاطعة الإندونيسية رقم ٢٧ في العام التالي، وفي عام ١٩٩٩ -بعد استفتاء تقرير المصير برعاية الأمم المتحدة- تخلت إندونيسيا عن إقليم تيمور الشرقية لتصبح أحدث دولة ذات سيادة في القرن الواحد و العشرين في مايو ٢٠٠٢، وتيمور الشرقية هي واحدة من بين دولتين اثنتين فقط تهيمنان فيهما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في آسيا، و الأخرى هي الفلبين.

باستقلال تيمور الشرقية، وهذا هو مصير الأقليات في العالم العربي.

وسيظل هذا المصير إن لم نتنبه إليه.

حقًّا، فهذا سيناريو، أو متتالية إمبريالية(٥٩) مطروحة لهذه المنطقة يجب علينا أن نجابهها بمتتالية أخرى تحاول -وبأقصى سرعة- أن توحد هذه المنطقة على أي مستوى من المستويات، كتقوية الجامعة العربية، وإعطائها صلاحيات أكثر.

أو من خلال السوق العربية المشتركة، وهو مشروع لا يلغي بقية أشكال الاتحاد لكنه بداية...

---

[59] **الإمبريالية**: هي سياسة توسيع السيطرة، أو السلطة على الوجود الخارجي بما يعني اكتساب، وصيانة الإمبراطوريات، وتكون هذه السيطرة بوجود مناطق داخل تلك الدول، أو بالسيطرة عن طريق السياسية، أو الاقتصاد؛ ويطلق هذا التعبير على الدول التي تسيطر على دول تائهة، أو دول كانت موجودة ضمن إمبراطورية الدولة المسيطرة، وقد بدأتِ الإمبريالية الجديدة بعد عام ١٨٦٠ عندما قامت الدول الأوربية الكبيرة باستعمار الدول الأخرى، أطلق هذا التعبير في الأصل على بريطانيا، و فرنسا أثناء سيطرتها على أفريقيا، ويعتبر (لينين) أن وجود الإمبريالية مترابط مع الرأسمالية؛ لأنها تستخدم الدول المستعمرة على أنها أسواق جديدة، أو مصادر لمواد أولية.

(●) نعم، وأنا أعتقد أنه يجب أن أتحدث عن توحيد تدريجي، أن يتم توحيد بعض السلع، وبالتدريج يتم توحيد السوق، أو تسهيل انتقال السلع من بلد إلى آخر.

السوق العربية المشتركة

البعض يقولون: ماذا لديكم في الدول العربية لكي تصنعوا سوقًا عربية مشتركة؛ فالأصل أن السوق تبادلية، ومنتجات دولة تذهب إلى دولة أخرى تحتاجها، والحاصل أنكم تستوردون التكنولوجيا، والمنتجات المتقدمة من الغرب؛ لأنه ليس لديكم ما تملكونه منها، فماذا ستصدِّرون لبعضكم البعض في هذه السوق؟

(●) مسألة التكامل الاقتصادي يمكن أن تتم عن طريق التخطيط؛ أي أن عدم التكامل هذا نتيجة لعدم التخطيط، أما ماذا نملك؟ فنحن نملك ٣٠٠ مليون عربي.

ويقولون -أيضًا- أنتم لا تملكون إلا البترول.

(●) مصر لا تملك من البترول الكثير، ورغم ذلك عندها عقول بشرية، وعندها موارد سياحية، وعندها محاصيل زراعية،

والسودان نفس الشيء، السودان يمكن أن يتحول إلى سلة غلال العالم العربي كله إن توفرت فيه الأيدي العاملة؛ لأن فيه مياهًا، وفيه أراضي، ومسألة التكامل هذه ممكنة إن تم شيء من التخطيط، لكن الدول العربية -مع الأسف- في حالة تناحر شديدة، ولا تدرك خطر ما سيحيق بها من فقر، وتشتيت، وضعف... وهكذا.

هل تتفق سيادتك، أم تختلف مع المفكر الكبير محمود أمين العَالِم[٦٠] - بمناسبة الحديث عن العولمة- في مطالبته بأن يُسْتَغَلَّ

---

[60] محمود أمين العالم (١٨ فبراير ١٩٢٢ - ١٠ يناير ٢٠٠٩): مفكرٌ يساريٌّ، وأحد أقطاب حركة اليسار في مصر... وُلِدَ في حي الدرب الأحمر في القاهرة، وانتسب في شبابه للحزب الشيوعي المصري، ودرس الفلسفة في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، وعمل بها بعد تخرجه في الجامعة حاصلًا منها على درجتي الماجستير، والدكتوراه، كما عمل في مجلة روز اليوسف، وفصل من عمله في عام ١٩٥٤ مع عدد من زملائه اليساريين، والشيوعيين، وقد اعتقل مرارًا في عهدي الرئيسين جمال عبد الناصر، وأنور السادات، وغادر إلى باريس في فترة حكم السادات حيث عمل مدرسًا للفكر العربي المعاصر في جامعة باريس.

التحق بعد شهادة الثانوية (الباكالوريا) بقسم الفلسفة - كلية الآداب- جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا)، حصل على شهادة الليسانس، وعُيِّن مدرسًا مساعدًا بالقسم بعد حصوله على درجة الماجستير في الفلسفة عن رسالته التي عنوانها: (فلسفة المصادفة الموضوعية في الفيزياء الحديثة، ودلالتها الفلسفية)، وحصل بها على جائزة الشيخ مصطفى عبد الرازق،

مفهوم العولمة في القضايا الكوكبية الكبرى، ويُوَظَّف لخدمة هذه القضايا مثل قضية التصحر، والجفاف، والخدمة العامة، وتلوث البيئة... وغيرها؟

(●) نحن -كلُّنا- مدينون للأستاذ العَالِم بالكثير، وأنا متفق معه في هذا تمامًا، لكنَّ هذا يتطلب وجود نظام دولي عادل يوزع الموارد، لأنه لا تنسَ أن هذا النظام الدولي ينفق على التسلح بالأسلحة أكثر مما ينفق على أي صناعة أخرى، فلأول مرة في تاريخ البشرية -رغم ما يتحدثون به عن عقلانية الغرب- ينفق الإنسان على أسلحة الفتك، والدمار أكثر مما ينفق على الطعام مثلًا، عندنا الآن أسلحة تدمر هذا العَالَم عدة مرات، فعندما سمع ابني هذا ضحك ملءَ شفتيه، وقال: (أنت لا تحتاج لتدمير الكرة الأرضية

وسجل بحثًا للدكتوراه حول: (الضرورة في العلوم الإنسانية)، غير أنه فُصل لأسباب سياسية من القسم عام ١٩٥٤... لعب العَالِمُ دورًا بالغ الأهمية في الحياة السياسية، والفكرية، والأدبية المصرية المعاصرة، خاصة بالنسبة للتنظيمات الشيوعية المصرية، وشغل العديد من الوظائف الهامة.

عدة مرات، لأنك لو دمرتها مرة واحدة لكفى)، فضحكت معه، واكتشفت مدى اللاعقلانية التي نعيش فيها... فاقتراح الأستاذ العالم مقبول تمامًا في حالة أن يكون هناك نظام دولي عادل، وهذا لن يتوفر إلا إذا اتَّحد العرب، واتحدتِ الكتل الأخرى بحيث تصبح قوة ضاغطة على اللاعقلانية الغربية.

احتمالية التغير في القوانين العلمية

بالنسبة لكتاب (الغرب والعالم) -لكيفين راين- الذي يتحدث عن عصر الشك، والقلق، والنسبية، والسخرية من كل شيء، واختراق الاحتمالية لقوانين العلم الصارمة، وأن التغير هو مفتاح العصر الذي نعيش فيه؛ هل من مزيد من الشرح لهذه القضية في هذه الشهادة؟

نعم؛ يجب أن ندرك أن القوانين العلمية الثابتة تغيرت كثيرًا، وأن العالم لم يعد صَلبًا كما كان، وإنما أصبح في حالة سيولة، فالقوانين الذَّريّة، أو دراسة الذَّرة تبين أن العالم يموج بأشياء لا

يمكن إدراكها بالطريقة البسيطة، فمثلًا أصبح القياس، والمقاس الآن يرتبط كل منهما بالآخر.

بمعنى...

في الماضي كانوا يتصوّرون أنك حينما تقيس شيئًا تكونُ منفصلًا عنه.

نعم...

لكنك الآن حينما تقيس الذَّرة -مثلًا- تسلِّط عليها الضوء فتختلف سرعتها.

فأنت لا يمكنك دراسة الذرة إلا بالضوء، لكنك تغير من الوضع من خلال هذا الضوء.

هذا يذكرني بنظرية الوسيلة هي الرسالة.

نعم؛ بمعنى أن العارف والمعروف، والمُدرِك والمُدرَك كلها أصبحت مسائل متداخلة؛ بينما قوانين العلم التاسع عشر يتطلب فيها الأمر مسافة، وحيادية، وانفصالًا كاملًا بين المُدرِك والمُدرَك، بين الظاهرة وراصدها... وهكذا.

وهذه من الأشياء التي أصبحت من أساسيات العلم الحديث، كل هذا من الناحية الفلسفية أدى إلى ظهور النسبية؛ فقد أصبح الإنسان في الغرب، وكذلك الفلسفات الجديدة كلها -خاصة فلسفة ما بعد الحداثة- يرون أنه لا يوجد مركز للعالم، وأن العالم في حالة سيولة كاملة، ومن ثَمَّ تعميم مخطئ، ويقين مستحيل، وهذا الموقف يؤدي إلى العدمية، وأنا -كمسلم، وعربي- لابد أن آخذ هذا في الاعتبار، لكني لا آخذه باعتباره شيئًا نهائيًّا؛ لأن بداخل هذه الصلابة يوجد يقين إنساني، ويقين ديني يجعل العدمية الكاملة مسألة غير مقبولة؛ لأننا نعلم -مثلًا- أن البشر يحوون داخلهم الخير والشر، فهذا يقين، ويمكن -انطلاقًا من هذا اليقين- أن نؤسس منظومات فلسفية فيها شيء من اليقين، لكنها لا تتجاهل حالة النسبية، والسيولة التي يتسم بها عالم المادة...

لكنَّ الاحتمالية دخلت في قوانين العلم؛ فلا توجد هذه القوانين الصارمة، وأصبح الشك حتى في القوانين التي ألَّهوها، وأقاموا لها النُّصبَ، والتماثيل...



هـذا شيء مهـم؛ لأن الكثيرين لا يزالـون يعيشون تحت وَهْمِ السببية العلميـة البسيطة، والثبات العلمـي، ويتصورون أن العلم قد حسم كل الأمور، وهم لا يعرفون أن العلم لم يحسم حتى أمرَ نفسه، وأن الاحتمالية -كما قلت- اخترقت كثير من الأمور، وأنهم يتحدثون -الآن- لا عن السبب والنتيجة، وإنما عن الترابط القائم بينهما.

حضارة العصر، والعلمانية

لذلك قلتَ إن حضارة الإجراءات التي أفرزت النازية، ومن بعدها الصهيونية والتي تتحدث عن فصل الدين عن الدولة هي -في واقع الأمر- تتحدث عن فصل الأخلاق عن الدولة، وعن المجتمع، وعن كل شيء، ولعل هذه المقولة -من سيادتكم- تنقلنا إلى مناقشة قضية حضارة العصر، والعلمانية[61].

---

[61] العَلمانيَّة: تعني اصطلاحًا فصل الدين، والمعتقدات الدينية عن السياسة، والحياة العامة، وعدم إجبار الكل على اعتناق وتبني معتقد، أو دين، أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية، وينطبق نفس المفهوم على الكون، والأجرام السماوية عندما يُفسَّر بصورة مادية عِلمية بحتة بعيدًا عن تدخل الدين في محاولة لإيجاد تفسير للكون، ومكوناته.

حقًّا؛ ولقد وجدت في العلمانية -أولًا- أن الحوار بشأنها -كما هو الحال بشأن أشياء كثيرة- مبني على تعريفات غير دقيقة، أو أنه عملية سماعية، فالناس في العالم العربي -للأسف- لا يقومون بعملية دراسة عميقة للأشياء، وإنما يكتفون بسماع بعض الأشياء، وترويجها، وكذلك في العلمانية قالوا إنها تفصل الدين عن الدولة.

هذا يذكرنا بالمدرسة الوضعية المنطقية، والدكتور زكي نجيب محمود[٦٢]، وحرصه على تحليل معاني الألفاظ والمفاهيم بدقة؛ لأن هذا المنطلق هو ما سيجعلنا نفهم، أو لا نفهم.

---

[62] زكي نجيب محمود: (١ فبراير ١٩٠٥م - ٨ سبتمبر ١٩٩٣م) مفكر، وفيلسوف مصري.

ولد في قرية ميت الخولي، دمياط، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة من لندن، وعُيِّنَ مستشارًا ثقافيًّا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس القومي للثقافة، وأكمل دراسته في إنجلترا في بعثة دراسية لنيل درجة الدكتوراة في الفلسفة، وتمكن من الحصول عليها من جامعة لندن، وكانت أطروحته بعنوان (الجبر الذاتي)، وقد ترجمها تلميذه الدكتور إمام عبد الفتاح إلى العربية، وبعد عودته إلى مصر التحق بهيئة التدريس في قسم الفلسفة

(●) نعم؛ أنا أشترك مع الوضعيين، والمنطقيين في هذا، وإن كنت أؤمن بالتجاوز، لكنَّ الوضعيين، والمنطقيين لايؤمنون إلا بالمادة، والمُعطَى؛ وذلك حتى يصنفوا العواطف الإنسانية، أو التقريرات العاطفية بأنها شبه تقريرات " سيودستيكمينت "، وأنا أرى أن العواطف الإنسانية -مثلًا- وأنَّ التركيب الإنساني جزء أساسيٌّ، وأختلف معهم في هذا، ولكنِّي أتفق معهم في تأكيد أهمية التعريف حتى يمكن التحاور.

نعم...

(●) فمثلًا هم يتحدّثون عن العلمانية بأنها فصل الدين عن الدولة؛ فما قولك في أفلام العنف التي لا علاقة لها بالدين، ولا

بكلية الآداب جامعة القاهرة، وظل بها حتى أُحِيل إلى التقاعد، ويفخر الصحفي (أنيس منصور) أنه من تلاميذه.

قدم زكي نجيب محمود سيرته الذاتية في ثلاثة كتب هي: قصة نفس، وقصة عقل، وحصاد السنين الذي أصدره سنة ١٩٩١م، وهو آخر كتبه، وتوقف بعدها عن الكتابة بعد أن شعر أنه أدى رسالته، ولم يعد لديه جديد يقدمه، بالإضافة إلى ضعف بصره الذي اشتد عليه، ومنعه من القراءة والكتابة، وظل على هذا الحال حتى أدركته منيته في ١٢ ربيع الأول ١٤١٤هـ/ ٨ سبتمبر ١٩٩٣م.

بالدولة، وكأفلام (توم آند جيري) التي أعتقد أنها تجسِّد المنظوم الداروينية[٦٣].

كيف يندرج هذا تحت ما يسمى بالمنظومة الداروينية؟

لأنه لايوجد فيه خير ولا شر باستمرار حالة المطاردة بينهما، فنحن نحب الفأر لا لأنه خيِّرٌ وإنما لأنه ظريف، ولأنه ذكي، وهذا يعني أنه عالم منفصل تمامًا عن القيم.

ذلك لأنه يسرق، ويفعل ما يشاء، بينما القط مفروض عليه أن يكون الحارس دائمًا، ومع ذلك تنقلب الأوضاع في هذه الأفلام.

نعم؛ كما ترى أن المسألة داروينية، لكنَّ (توم آند جيري) لاعلاقة له بالدين، ولا بالدولة.

فكيف نصنف هذا... من الواضح أنه ليس إيمانيًّا، وليس بأخلاقي، وليس بإنساني، هل نصنفه من نوع علماني أم لا؟

---

[63] الداروينية: مصطلح يطلق على مجموعة عمليات مستمدة من أفكار تشارلز داروين.

من هنا انطلقت إلى التمييز بين العلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة. أما العلمانية الجزئية فهي فصل الدين عن الدولة؛ أي فصل الدين عن بعض المؤسسات الاقتصادية، والسياسية في إجراءاتها فحسب.

وبحسب هذا التعريف يلزم الصمت بخصوص القيمة النهائية، فالقيمة النهائية -بالنسبة للنشاط الاقتصادي، والنشاط السياسي- أن تكون هناك قيمة لا نفصل الواقع السياسي، والاقتصادي عنها البتة، وأن نغوص في الميكافيلية[64]، والداروينية.

هذه العلمانية الجزئية أنا -كعربي، مسلم- لا أجد أيَّة صعوبة في قبولها؛ لأنني -بطبيعة الحال- لا أود أن أرى فقهاء -مثلًا- في اللجان المتخصصة في وزارة الخارجية، أو اللجان المتخصصة في

---

(64) **الميكافيلية**: نسبة إلى (نيقولا ميكافيلي) الإيطالي، ولد في (فلورنسا)، وعاش ما بين عام (١٤٦٩ - ١٥٢٧م)، ومن أهم أفكاره فكرة (الغاية تبرر الوسيلة)، حيث برر بها القسوة، والوحشية في صراع الحكَّام على السلطة.

ومفهوم (الميكافيلية) هو كناية عن فعل الناس، والساسة الذين يعمدون الى تحقيق مآربهم بالدهاء، والمكر، والقوة؛ والميكافيليون هم الذين يبحثون عن الحق بطرق باطلة.

وزارة الداخلية، لكني -في نفس الوقت- لا أحب أن أرى هذه الدولة وقد انفلتت تمامًا من القيم، وأصبحت هي ذاتها معيبة.

في مقابل هذا نجد مفهوم العلمانية الشاملة، وهو لا يعني فصل الدين عن الدولة فحسب، وإنما فصل القيم الإنسانية، والأخلاقية، والدينية عن مجال حياة الإنسان في جانبيها؛ العام والخاص أيضًا، بمعنى أنها عملية فصل كاملة.

وما يحدث في الغرب، وفي بعض أنحاء العالم العربي أن تُعْرَف العلمانية جزئيًّا، وتُمارَس بشكل شامل، فمثلًا كانتشار الأفلام الإباحية أنا أعتقد أنها تعبير عن العلمانية الشاملة، وليست تعبيرًا عن العلمانية الجزئية في أيَّة حال من الأحوال؛ لأنه في إطار العلمانية الجزئية أنت تقبل القيم، وتقبل أن يكون الإنسان ليس ظاهرة طبيعية، و تقبل المرجعية النهائية، وهكذا... أما في إطار العلمانية الشاملة فأنت لا تقبل شيئًا سوى حركة المادة، وأنا أعتقد أننا إذا عرفنا الأمور بهذا الشكل؛ سوف يحدث التقاء بين المسلمين، والعلمانيين؛ لأن العلمانيين عندنا ليسوا من النوع الشامل، وإنما من

النوع الجزئي، فَهُم لا يزالون يؤمنون بالقيم...يؤمنون بالمرجعيات...يؤمنون بالإنسان.

جيد أن يكون هناك منطقة وسطى للتقريب بين الفئتين.

أنا أعتقد أن المعركة قامت بسبب عدم الفهم، وقد أدركت هذا من خلال نقاشي مع العلمانيين في حين أن كثيرين منهم يحتجُّون بقولهم: «نحن نؤمن بكذا... نحن عندنا قيم» وبالفعل كنت أنظر لحياتهم؛ فأجد أنهم متمسكون بالقيم.

فكان لابد أن أعيد التعريف حتى يتفق مع تجربتي، وهذا ما أسميِّه التفكيك والتركيب.

إنني فككت المصطلح الغربي، وفككت الواقع الغربي، وأعدت تركيبه بحيث وصلتُ إلى العلمانية الجزئية -على مستوى التعريف-، والعلمانية الشاملة -على مستوى الممارسة-، وقد طبَّقت هذا في مصر، ووجدتُ أنَّا ننادي به، وما نمارسه هو العلمانية الجزئية ابتداء من رئيس الجمهورية حتى أقل واحد، أو أبسط البسطاء، فنحن نجد أن مسألة القيم عندنا مسألة أساسية.

المسيري، وقصص الأطفال

هـذا صـحيح، وعـلى ذكـر (تـوم وجـيري) هـو يـذكِّرني بمشروعك -أيضًا- لكتابة قصص الأطفال الـذي يثير الدهشة، فمفكر مثلك مشغول بموسوعة عن اليهود واليهودية والصهيونية قضى ستة وعشرين عامًا كي ينجزها، وفي نفس الوقت تكتب قصصًا للأطفال!!.

في عـام ٦٤ أو ٦٥ بلغـتِ ابنتـي سـن سـنتين، وكنـت في طريقي لشراء دمية (دُب) لها، وفجـأة توقفت ووجـدت أن الدميـة (الدُّب) هو رمز الإمبريالية الغربية.

هذا مضحك جدًّا.

فقلت: إن ابنتي لن تبيت مع الإمبريالية الغربية في غرفة واحدة، ولكني طوَّرت فكرة دمية خاصة بها -كانـت (جملًا اسمه ظريف)- وبـدأت أكتب قصصًا حـول جمل ابنتي ظريف، ومـن الطريف أن قام أحد الأغبياء -لا أذكر اسمه- بالتقدم لمسابقة لخلق أو تطوير شخصية كرتونية عربية، وفاز في المسابقة باسم

(الجمل ظريف)، وهو من الغباء بحيث إنه لم يغيِّر حتى اسم الشخصية.

وبعد ذلك طلبتُ من الفنان (رحمي)[٦٥] أن يطوِّر هذه الدمية، وكنت أجلس على السرير -أنا وأولادي- وأحكي لهم القصص، وبدأت في نسيج عالم متكامل من القصص نُشِر منه قصة واحدة وهي قصة (الأميرة والشاعر)، ويتميز هذا النوع من القصص بأن الأطفال أجزاء منه مثل ياسر، ونور، والجمل ظريف، وانضم إليهم -الآن- حفيدي نديم، فهم داخل القصة، ويتحكمون في سير أحداثها بمعنى أنه عندما لا تعجبهم النهاية يقولون للجمل ظريف غَيِّر النهاية.

وهذا يجعل الطفل يدرك، ويكتشف مقدرته، ومن المبادئ الأساسية في هذه القصة أنني أحتفظ بالعالم الأسطوري فلا أحرم

---

(65) **محمود رحمي**: مخرجٌ، وفنان عرائس، ليس هذا فحسب لكنه كان فنانًا تشكيليًا كبيرًا ذا رؤية إبداعية عميقة، وخلفية ثرية جدًّا، قدم العديد من مسلسلات الأطفال كان أشهرها المسلسل الكرتون (بوجي وطمطم).

الطفل منه، لكني أطوّره بمعنى أني أُدخِل حداثة داخل هذه المنظومة القيمية، فمثلًا آخذ قصة ذات الرداء الأحمر عندما تقول الأم لابنتها: يجب عليك أن تأخذي هذا لجدتك، وهذه قيمة تراحمية.

والابنة هنا هي نور، وبالفعل تسير مع أخيها ياسر، والجمل ظريف، ويقابلون الذئب، وهذا الذئب يعيش في عالم الأسطورة ويَخرُج الجمل من جيب ياسر ويحيِّيهم...وهكذا.

ويذهب الذئب ليأكل الجدة، ثم يأكل الفتاة، لكن ما يحدث هو أنهما يركبان الدراجة، ويسيران في طريق جديد يصلون بها إلى الجدة، ويخبرونها عن الذئب أنه سيحضر الآن، وحينما يحضر الذئب يقومون بضربه (علقة ساخنة)، ويعطونه (مقشَّة) كي ينظف الحديقة، لكنه يفر ويعود إلى الغابة لأنه حيوان في نهاية الأمر، بينما هم يجلسون مع الجدة..ينشدون الأناشيد، وقد احتفظت هنا بالعالم الأسطوري لكني -في نفس الوقت- نصرت الإنسان على الطبيعة، وعلى الذئب.

المعمار المصري، والمعمار الغربي

وفي نفس الوقت قدمتَ شهادة مضادَّة لما نقدمه للطفل المصري، والعربي من فنون، وثقافة مختلفة.

نعم، ولكني -بكل أسف- وجدت أنَّ الإبداع في كثير من المستويات قد تراجع بسبب محاولاتنا تقليد الغرب فالمعمار -مثلًا- أصبح شيئًا مخيفًا في مصر، بينما نجد تراث المعمار الغربي متطورًا جدًّا، وطُوِّر -أيضًا- في القرية مثل ما قامت به الشركة البلجيكية -مع الأسف- في منزلي.

وكذلك محاولات المهندس العظيم حسن فتحي[66].

---

(66) حسن فتحي: معماري مصري، وُلد في عام ١٩٠٠م، وكانت له معاناته الكبيرة من جرَّاء سيطرة الثقافة الغربية على أفكار مهندسي تلك الفترة، والتي لم يسلم منها حتى بعض زملائه الذين سايروا، وجاملوا، وقلدوا شتى النزعات الغربية، وترجع أهمية حسن فتحي إلى كونه أول من شخَّص مركب النقص عند المعماريين المصريين إزاء منجزات العمارة الغربية ١٩٥٩.

نال حسن فتحي جوائز كثيرة منها جائزة الدولة التشجيعية للفنون الجميلة (ميدالية ذهبية) عن تصميم وتنفيذ قرية " القرنة الجديدة " (النموذجية بالأقصر)، وكان أول معماري يحصل عليها عند تأسيس هذه الجائزة في ذلك التاريخ في مصر، وتوفي في القاهرة ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩).

نعم، وله مدرسة الآن، وكذلك الدكتور عبد الحليم الذي أسس حديقةً للأطفال في شارع قدري بجوار مسجد ابن طولون الذي استلهم من مئذنته بعض الأفكار...وهكذا نرى محاولات البناء والتشييد التي يُترَكُ أمرها للمقاولين دون أيِّ تدخل من الحكومة لتهذيب الذوق في هذه المباني، هذا مع علمي أن الفارق بين التراث العربي، والتراث الدولي القبيح السائد بضعة ملاليم؛ أي أنه غير مُكلِّف.

لكنَّ هذا ما يحدث الآن، وقد حاولت أن أطور هذا المفهوم في منزلي؛ فحاولت تأسيس منزل عربي حديث، فمثلًا حوَّلتُ (المَنْور) في العمارة -التي أسكن فيها، والتي أمتلكها- إلى حديقة يسرُّ برؤيتها سكان المنزل... أعلم أنها محاولات بسيطة إلى حد ما، لكنِّي حاولت أن أُحَوِّلَ بها المعمار القبيح إلى شيء جميل.

منافسة عربية لتكريم تاريخ إسرائيل

إذن نعود إلى القضية المحورية الهامة التي استغرقت معظم الشهادة إلى الآن ألا وهي قضية الصراع العربي الإسرائيلي،



وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، هذه الموسوعة التي فازت وكُرِّمَتْ كأفضل موسوعة في السنوات الأخيرة، وتم تكريم سيادتك في معرض القاهرة الدولي للكتاب من قبل السيد الرئيس محمد حسني مبارك، وأودُّ أن أذكرك بالمفكر الكبير د/ سيد القمني[٦٧] في كتابه إسرائيل (التوراة، التاريخ، التضليل)، ينتهي إلى أن العرب - مسلمين، ومسيحيين- قد تنافسوا جميعًا في تشريف تاريخ إسرائيل، وتكريمه استنادًا إلى قدسية التوراة رغم ما فيها من تحريف واضح، فما تعليق سيادتك على هذا.

---

[67] سيد القمني: كاتب مصري حاصل على الدكتوراة في تاريخ علم الاجتماع الديني من جامعة كاليفورنيا الجنوبية، من مواليد ١٣ مارس ١٩٤٧ بمدينة الواسطى في محافظة بني سويف، معظم أعماله الأكاديمية تناولت منطقة شائكة في التاريخ الإسلامي، والبعض يعتبره باحثًا في التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ماركسية، والبعض الآخر يعتبره صاحب أفكار اتسمت بالجرأة في تصديه للفكر الذي تؤمن به جماعات الإسلام السياسي، بينما يعتبر السيد القمني نفسه -وعلى لسانه- إنسانًا يتبع فكر المعتزلة، وصفه الكثيرون بأنه مرتد، أو بوق من أبواق الولايات المتحدة لتشابه وجهة نظره مع نظرة الإدارة الأميركية في ضرورة تغيير المناهج الدينية الإسلامية، وخاصة في السعودية علمًا بأن القمني كان ينادي بهذا التغيير لعقود سبقت الدعوة الأميركية الحديثة التي نشأت عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

(●) أولًا: الإسلام دين يقبل الآخر، وهذه مسألة أساسية، فإذا كان الدكتور القمني يرى أن قبول الآخر يعني تكريمه؛ فأعتقد أن هذه مبالغة قد تكون غير مقبولة، فالدين الإسلامي مبني على أنه لسان الديانات التي جاءت من قبل؛ فهي ديانات حقيقية حدث فيها شيء من التحريف، لكنها تظل ديانات حقيقة، ومن الواجب علينا -نحن المسلمين- أن نحترمها، ونحترم أهلها، ونسميَهم أهل الكتاب، ويكون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

وفي داخل القرآن الكريم إشارات عديدة لبني إسرائيل، واليهود بعضها إيجابي، وبعضها سلبي...وهكذا، وفي موسوعتي كنت أفرِّق بين القرآن، والتوراة؛ فشخصية كسيدنا موسى،أو سيدنا إبراهيم قد ذُكِرَا في القرآن، لكن اختلف ذكرهم في التوراة؛ بمعنى أن السياق القرآني يختلف عن السياق التوراتي، وأن نربط بين هذا وذاك فيه إجحاف شديد، لأنهم شخصيات مختلفة تمام الاختلاف.

إذا كان المصدر واحدًا، والقصة واحدة، والشخصية واحدة؛ فمن أين يأتي هذا الاختلاف إلا إذا كان هناك تحريف -فعلًا- في الكتب التي سبقت القرآن الكريم؟

بالطبع، لكنِّي أترك هذا للفقهاء، وأنا -كمسلم- أقوم بعملية الفصل بينهما، والأكثر من هذا أني أقوم بعملية الفصل بين السياق القرآني، والسياق التوراتي، والسياق التاريخي، لأن أصدقاءنا المتخصصين في التاريخ القديم يقولون إنَّما يعرفونه عن التاريخ القديم أقل من القليل، فمن الممكن أن نؤسِّس منظومة كاملة مثلًا- استنادًا إلى قطعة معدنية، أو حَجَر، ولذلك اسمي هذا في الموسوعة (المرحلة السديمية)[٦٨].

---

[68] السديم: (في الفلك) هي أجرام سماوية ذات مظهر منتشر مكون من غاز متخلخل (من الهيدروجين، والهيليوم) وغبار كوني، ويدرس السُّدمَ الفلكيون المختصون بدراسة الوسط البَيْنِ نجميّ، وفي الفضاء الكثير من ذرات الغاز والغبار، وهنالك سديم يمكن رؤيته ليلاً في السماء.

نسبة إلى السُّدُمِ، أو السَّديم الذي يجعل الرؤية ضبابية، وغير واضحة.

بالفعل، ويجب أن ندرك هذا، ومحاولة ربط القصص القرآني بالحقائق التاريخية أعتقد أنها محاولة متعسفة؛ لأن الحقائق التاريخية ستتغير بتغير الآثار، وكلَّما نقَّبنا سوف نجد أشياء عديدة، ولذلك يجب أن نفصل بين هذه السياقات المختلفة، ومن ثَمَّ نُدَرِّب العقل العربي على عدم الربط بين التوراة والقرآن..وبين القرآن وواقع يهود العالم في الماضي، والحاضر، وفي المستقبل.

فهذه سياقات مختلفة، فمثلًا أنا أطرح التصوّر الثاني؛ هل أنا - كمسلم- ملزم بالتعريف اليهودي لليهود، أم بالتعريف الإسلامي؟ الإجابة -طبعًا- أني ملزم بالتعريف الإسلامي.

بالطبع...

التعريف الإسلامي لليهود أنهم من أهل الكتاب يؤمنون بالتوراة، وباليوم الآخر؛ وأنا أقول لك: إن تسعين بالمائة من يهود

العـالم -الآن- لا يؤمنـون بـالتوراة، ولا بـاليوم الآخـر، وإنَّـما هـم ملاحدة.

هنـاك إشـكالية داخـل الـشريعة اليهوديـة نفـسها أنهـا تُعَـرِّف اليهودي أنه من يؤمن باليهودية، ويُولـد لأم يهوديـة، هـذا تعريـف ديني، وعرقي في نفس الوقت.

إذن، هنـاك اخـتلاف بـيّن بـين التعريـف الإسـلامي لمـصطلح (اليهـود) وبـين تعريـف اليهـود أنفسهم لهـذا المـصطلح، إذ ينـدرج تعريفهم -كما قلـت- لأصـول عرقيـة أكثر بكثير مما هـو متعـارف عليه في هويتهم الدينية.

رغم أنهم في الآونـة الأخـيرة حرفـوا هـذا المـصطلح وصـبغوه بصبغات دينية وعرقية معًا لتناسب أهواءهم ومطالبهم.

الإسرائيليات، ومفهوم اليهودية

في هذا الصَّدد يقول د. حامد ربيع[٦٩]: إن اليهودية ليست مرادفة لكلمة (الديانة اليهودية) فهي مفهوم أكثر اتساعًا.

في الحقيقة أنا لم أقرأ هذا من قبل، لكنني أعتقد أنه يدل على عبقرية د. حامد ربيع الدائمة، فهو من الأساتذة القلائل مثل

---

[69] **الدكتور حامد ربيع**: هو حامد تيسان عبد الله ربيع عبد الجليل (١٩٢٥ - ١٩٨٩) أستاذ، ورئيس قسم العلوم السياسية في جامعة القاهرة، ولد في صعيد مصر، وتزوج من امرأتين إحداهما مصرية، والأخرى يمنية، عُرِفَ عنه انكبابه على العلم، وانجذابه الشديد للتعليم الأكاديمي، وقد نتج عن ذلك حصوله على سبع شهادات دكتوراة، وست دبلومات...حصل على دكتوراة في علم الاجتماع التاريخي من جامعة روما عام ١٩٥٠ بعد أن تعلم الإيطالية، واللاتينية؛ ودكتوراة في فلسفة القانون في العام التالي، ثم دكتوراة في العلوم النقابية عام ١٩٥٤ بعد ذلك تابع دراسته في العلوم السياسية والقانونية التي أسفرت عن شهادتي دكتوراة في هذين المجالين... وفي التاسع من سبتمبر من عام ١٩٨٩ لقي حامد ربيع حتفه، وكان سبب الوفاة -حسب ما تناقلته أغلب وسائل الإعلام في تلك الفترة- يرجع إلى إصابته بـ(مغص شديد) لم يمهل المُتَوَّفى أكثر من ربع ساعة قبل أن يُسَلِّمَ روحه.

جمال حمدان[70] الذين أبدعوا في الفكر السياسي، وفي موقفهم من إسرائيل.

حول هذا الموضوع أعتقد أن الدكتور سيد القمني لا يقارن بين القرآن، وبين التوراة؛ وإنما يقول: إن العرب سواء كانوا مسلمين، أو مسيحيِّين فقد انساقوا وراء التضليل، والتحريف الذي جنح إليه اليهود في سرد تاريخهم، وبطولاتهم، وتراثهم؛

---

(70) جمال حمدان: (٤ فبراير ١٩٢٨م - ١٧ أبريل ١٩٩٣م) أحد أعلام الجغرافيا المصريين، ولد في قرية ناي بمحافظة القليوبية، عانى النسيان والتجاهل كثيرًا، وزاد من ألم هذا الجحود أنه جاء من بني جلدته المثقفين، والمفكرين الذين نذر حياته لتوعيتهم، وتحذيرهم مما يحيط بهم من تحديات، ومخاطر؛ كان صاحب السبق في فضح أكذوبة أن اليهود الحاليين هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين خلال حقب ما قبل الميلاد، وأثبت في كتابه (اليهود أنثروبولوجيا) -بالأدلة العملية- أن اليهود المعاصرين الذين يدَّعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية (الخزر التترية) التي قامت بين (بحر قزوين) و(البحر الأسود)، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي، وهو ما أكَّده بعد ذلك بعشر سنوات (آرثر كويستلر) مؤلف كتاب (القبيلة الثالثة عشرة).

عُثِر على جثته والنصف السفلي منها محروقٌ، واعتقد الجميع أنه مات متأثرًا بالحروق، ولكن د/ يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقًا بالغاز، كما أن الحروق ليست سببًا في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة إحداث الوفاة.

والدليل على هذا وجود ما يُسَمَّى بـ (الإسرائيليات) في كتب التُّراث الإسلامي.

الإسرائيليات هي محاولة تفسير القرآن والسنة، أو إضافة أشياء للسنة ترتبط بالنموذج الذي نسميه النموذج الحلولي الذي لا يفرق بين الخالق والمخلوق.

فهي لا تتحدث عن اليهود فحسب، وإنَّما هي -أيضًا- محاولة لإدخال بعض العناصر التي لا تتفق مع التوحيد الإسلامي، فجوهر التوحيد الإسلامي -التوحيد من المنظور الإسلامي- هو الفصل بين الخالق والمخلوق، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، لكنَّه لا يجري في عروقنا، وهذه مسألة أساسية، أما الإسرائيليات في معظمها ستجد أنها تدور في إطار الحلولية الذي سار في إطاره الباطنيُّون أيضًا.

وبعض الصوفيين بعد ذلك.

نعم، وبعض الصوفيين بعد ذلك.

المستقبل الإسرائيلي من زوايا مختلفة

يقول (إليوت كوهين) حول مستقبل إسرائيل -وهو أستاذ الدراسات الاستراتيجية بجامعة جون هوبكنز[٧١]- في مقال كتبه مؤخَّرًا في مجلة (فورين أفيرز) الأميركية يؤكد فيه تشاؤمه من مستقبل الدولة اليهودية -خصوصًا- بعد اغتيال رابين[٧٢]، والصراع بين العلمانيين، والأصوليين، وأزمة الجيش الإسرائيلي،

---

[71] جامعة جون هوبكنز: أو مدرسة الطب هي إحدى الكليات لتدريس الطب في الولايات المتحدة الأميركية، وتقع في مدينة (بالتيمور) في ولاية ماريلاند الأميركية، ونوع الشهادة الطبية التي يتم تحصيلها هناك هي MD.

[72] إسحق رابين: (١ مارس ١٩٢٢ - ٤ نوفمبر ١٩٩٥) رجل سياسي، وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي، وخامس رئيس وزراء إسرائيلي في فترتين؛ الفترة الأولى من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ والفترة الثانية من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥ وفيها أغتاله يهودي ليصبح رابين أول رئيس وزراء إسرائيلي يموت اغتيالًا.

وُلد رابين في مدينة القدس إبّان الانتداب البريطاني لفلسطين، ودرس في المدرسة الزراعية اليهودية (كادوري) في الجليل سنة ١٩٣٨ ضمن فترة دراساته، وتخرج منها بامتياز في سنة ١٩٤٠.

أمّا بالنسبة لحياته السياسية الداخلية، فقد حصل على مقعد في الكنيسيت الإسرائيلي في كانون الثاني/ يناير بعد أن انضم لحزب العمل الإسرائيلي، ومع حصوله على المقعد البرلماني تَعَيَّن أيضًا في منصب وزير العمل في الحكومة التي ترأستها جولدا مائير.

وعجز الإسرائيليين عن الزهو بإحياء دولتهم بعد نحو ألفي عام؛ فما تعليق سيادتك على هذه الجزئية؟.

(●) أنا سعيد أنك اقتبست هذا الكلام، فأنا أهوِّن من شأن إسرائيل، ويجب -أولًا- أن أُفرِّق بين الأزمة، والانهيار.

النموذج الصهيوني -في حالة حدوث أزمة لإسرائيل- سيكون في حالة أزمة شديدة جدًا، بسبب الانقسام الذي سيحدث بين العلمانيين والدينيين... بين الشرقيين والغربيين... بل وبين الدينيين أنفسهم... بين الإصلاحيين والمحافظين من جهة والأرثوزوكس من جهة أخرى... بين الجيل القديم والجيل الجديد فهناك أزمة حقيقة لم تُدرَس بشكل كافٍ في العالم العربي، وقد قال أيضًا أحد المؤرخين المفكرين الإسرائيليين: إن إسرائيل ستركض من نصر إلى نصر حتى تصل إلى نهايتها المحتومة.

أنا أتفق مع كل هذا لكنَّ هذه النهاية المحتومة لا يمكن الوصول إليها بدون الفعل العربي، فقد ثبت أن مجتمعاتنا قد تعيش في أزمة إلى عدة قرون، ولا أقول إلا ما لا نهاية خاصة وأن الكيان

الصهيوني ممول ومدعوم من الخارج؛ بمعنى أن أسباب بقائه وحياته لا توجد بداخله، وإنما توجد خارجه؛ فيمكن أن توجد داخله تناقضات يتعايش معها، وتصب الرشاوي الأميركية فيه؛ فتجعله يطفو بعض الوقت.

إشكالية التحيُّز

أنا أُلاحظ أنك تضع الآخر في مكانه، بل وتوفِّر له - دائمًا- في فكرك مكانًا، ومكانة، وحيزًا، وهذا يذكِّرني بكتاب مبكر لسيادتك وهو (إشكالية التحيُّز) أحب أن أعرف شهادة سيادتك على هذه القضية خاصة أنها قضية محورية في العالم حاليًا، وأصبحت مسألة قبول الآخر، وإشكالية التحيز مطروحة بشدة، وبكثافة في عصرنا في ظل دخولنا على الألفية الثالثة.

صدر هذا الكتاب منذ خمسة أعوام تقريبًا، ولم أتخيل أن هذه المدة تمضي دون أن يُنَاقَش هذا الكتاب، لكنَّ هذا ما حدث رغم أننا عقدنا مؤتمرًا وصفه الأستاذ فهمي هويدي بأنه انتفاضة

ثقافية، ثم صدر الكتاب في ثلاث طبعات الطبعة الأخيرة منه جاءت في سبع مجلدات.

لكن حتى الآن لم يُناقَش على الإطلاق في الصحف المصرية، ولا في الصحف العربية.

هل تعتقد أن هذا الكتاب لم يُنَاقَش بسبب ما يُثِيرُه من حساسية دينية مثلًا؟

لا أعتقد ذلك، بالعكس فقد شارك في هذا الكتاب إخوة مسيحيُّون، وبعض الماركسيين -أيضًا-، وذلك لأني أحاول -في هذا الكتاب- أن أجعل إشكالية التحيز إشكالية عالمية.

فهناك إشكالية في المفاهيم الاجتماعية، والمُلَاحَظ في الكتاب أن التحيُّزات التي اخترقَتْنا هي في أساسها تحيزات غربية، فنجد في مقدمتي عن فكر التحيز -وهي تشكل الجزء الأول- أني أتحدث عن التحيز الكمي ضد التحيز الكيفي... التحيز للعام على حساب الخاص، وحاولت أن أصف النموذج الغربي الذي اخترقنا حتى يمكننا اكتشاف هذه التحيزات، وقد كانت دراستي مستندة إلى

الخمسين دراسة التي كُتِبَتْ من قبل، فقد طلبتُ من خمسين عالِـمًا أن يكتب كلُّ واحد منهم في حقل تخصصه، فمنهم من كتب في العلوم الطبيعية، ومنهم من كتب في الفنون، فالدكتور عبد الحليم -مثلًا- كتب عن حديقة الأطفال، وكيف أنه رفض التحيز الغربي، فقد كان يُفْرَضُ عليه أن يزيل ما حولها من مبانٍ، أو يحوِّلها إلى مركز غير متفاعل مع ما حوله؛ بينما نجد -في أثناء قيام الدكتور عبد الحليم بهذا العمل- أن الشارع الذي يفصل بين الحديقة والسُّكان أصبح أهم من الحديقة نفسها؛ وهذه هي نقطة التماس فحَاوِلْ -مثلًا- مع دراس لحديقته ألا يجتثَّ الأشجار، ويحتفظ بها، ولا ندري هل هو تقدير إلهي حيث إن الأشجار كانت تأخذ شكل الحلزون الذي يُشبه -تمامًا- مئذنة جامع ابن طولون.

وهكذا فقد كَتَب عن هذه التجربة أحد الأساتذة في كتاب سمَّاه الافتراضات الفلسفية وراء القوانين العلمية؛ فقال في هذه الدراسة: «إن القوانين العلمية لا علاقة لها بالصياغات الفلسفية التي وراءها، وضرب مثلًا على النواة، فقال نحن حينما نرصد

حركة النواة نفشل في رصدها؛ فنقول: إن العالم النوويَّ عالم فوضوي، بينما يمكن أن نقول: إن عقل الإنسان محدود، وإنه غير قادر على الرَّصد، ولكنَّ الصياغة الفلسفية هنا صياغة إلحادية لا علاقة لها بالعملية الرصدية العلمية أبدًا».

وهذا الكتاب يتعامل مع كل هذه الموضوعات، وقد كتبتُ في هذا الكتاب دراسة عن الهولوكوست فبيَّنت أن هناك تعاون ما بين النازيِّين والصهاينة، وأشرت إلى شيء مذهل أذهلني أنا شخصيًّا وهو أن اليهودي الذي كان يُقَرَّر حرقُه في أفران الغاز كان يسمى مسلمًا.

وحينما وجدتُ كلمة مسلم هذه تتكرر في الدراسات عن أفران الغاز؛ لم أُصدِّق نفسي، وذهبت إلى الموسوعة اليهودية؛ فوجدت -لحسن حظي- تحت كلمة (Muslim) -التي تعني مسلم باللغة الألمانية- شرحًا لهذا المعني؛ ومع أنهم كانوا يحاولون تفسيرها بتفسيرات مختلفة، متحيزة، إلا أنَّ الواقعة نفسها مرصودة في المجلد الثاني عشر الذي يذكرون فيه هذه الحقيقة.

حقيقة أن المسلم هو اليهودي الذي تقرر حرقه.

نعم...

إذن ما هو تفسير سيادتك لهذا الأمر؟

لا تفسير لهذا الأمر سوى أنه النزعة الإبادية الغربية، والعداء الشديد للعالم الإسلامي، فحينما لم يجدوا من يحرقون سوى اليهود سمَّوهم مسلمين، وهناك دراسات أخرى عن إعلامهم المتحيز، وأيضًا دراسات عن الطب، والتحيزات الكامنة فيه؛ وأود أن أطرح لمجتمعنا المصري سؤالًا؛ كيف تخلَّينا عن فكرة (الحكيم)، وبدأنا نُحضر الأطباء المتخصصين الذين يتطلبون نوعية معينة من المجتمع غير موجودة عندنا؟

أتقصد فكرة (الحكيم)، أو (الحكيمة) الموجودة في الريف؟

لا؛ بل في المدينة أيضًا، وفي الأحياء الشعبية؛ فالأحياء الشعبية والريف يشكلون ٩٠، أو ٩٥ في المائة من المجتمع المصري.

أحد الأساتذة كان يتحدث عن المعدات الطبية المتقدمة فقال: إنها تتغير بمعدل سريع، وأنه من مصلحتنا ألَّا نواكب هذا التغير؛ لأن التكلفة ستكون عالية جدًّا، وهم يتعمَّدون أن يغيِّروا في أنواع هذه المعدات كما يغيرون السيارات تمامًا، وليس هناك ما يبرر أن تغيِّر سيارتك كل عام كما يفعل الأميركيُّون.

في حالة المعدات الطبية يجدون أن معدل استهلاكها منخفض، ولكي يتغلبوا على هذه الظاهرة؛ يقومون بتغيير الأجهزة الطبية مرة كل عشرة أعوام، فإذا ما جاءنا جهاز تَدرَّبنا عليه جيدًا، وهضمناه، واستخدمناه لمدة عشرة أعوام، ثم بعد ذلك نجد تغييرًا ما قد أحدثوه بهذه الأجهزة، ولو واكبنا هذا التغيير لتكبَّدنا تكاليفَ كثيرة جدًّا، ولَـمَا أمكننا مواكبة هذا التطور على الإطلاق.

صُنَّاع القرار

عودَةً إلى موسوعتك الكبرى، فقد ذكرتَ سيادتك أنك لا تقصد بها القارئ العادي، وإنما قارئك الذي تستهدفه هو صانع

القرار العربي، وأيضًا المفاوض، والمجاهد الفلسطيني، ما هي تفاصيل هذه الرؤية؟

(●) المجلد الأول من الموسوعة -وهو الإطار النظري- صعب جدًّا؛ لأني حاولت فيه أن أصل إلى تركيبة نظرية معينة لبعض النماذج الأساسية كنموذج الحلولية مثلًا، ونموذج العلمانية الشاملة، وهذان النموذجان يُشكِّلان الإطار الشامل، وأرى أن الإمبريالية هي شكل من أشكال العلمانية الشاملة، والإنسان الغربي قد حوَّل نفسه إلى إِلَهٍ يُسخِّر العالم لصالحه؛ فالصهيونية هي تسخير العرب، والفلسطينيين، واليهود أيضًا لخدمتها، فقد قالت عن فلسطين: «إنها أرض بلا شعب»، وبالتالي فالأرض أصبحت تابعة للصهاينة، والشعب تم إبادته لفظيًّا.

نعم...

(●) إنَّ اليهود لم يصبحوا جماعة تنتمي إلى وطنها -كما هو الحال لأي شعب- فاليهود الأميريكيون أصبحوا شعبًا يُسمَّى الشعب اليهودي، وهو يبحث عن وطن، فكما ترى قاموا بمحاولة

إخضاع لهذه العناصر بأكملها، ونفُوا التاريخ العربي، ونفُوا تواريخ الجماعات اليهودية في الخارج، ومن هنا انطلقوا إلى وحدة الشعب اليهودي، وأُحبُّ أن أُبيِّنَ أن كثيرًا من المتآمرين يسقطون في الرؤية الصهيونية حينما يتحدثون عن الشخصية اليهودية...عن العبقرية اليهودية...عن الجريمة اليهودية، كما لو كانتِ اليهودية هي المسؤولة عن عبقريته، فمثلًا يقولون: إن أينشتاين[٧٣] يهودي؛ ولو كان كذلك لظهر أينشتاين في اليمن، أو في أفغانستان، لكنه ظهر داخل الحضارة الغربية، ونفس الشيء ينطبق على المجرمين؛ أقول

---

[73] **ألبرت أينشتاين:** (١٤ مارس ١٨٧٩ – ١٨ أبريل ١٩٥٥)، عالم في الفيزياء النظرية، ولد في ألمانيا عام ١٨٧٩م، لأبوين يهوديين، وحصل على الجنسيتين السويسرية والأميركية؛ يشتهر أينشتاين بأنه واضع النظريَّتين الشهيرتين؛ النظرية النسبية الخاصة، والنظرية النسبية العامة اللتين حققتا له شهرة إعلامية منقطعة النظير بين جميع الفيزيائيين؛ حاز في عام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء بعد تأسيس دولة إسرائيل، وعرض عليه تولي منصب رئيس الدولة في إسرائيل لكنَّه رفض مفضِّلًا عدم الانخراط في السياسة، وقدَّم عرضا من عدة نقاط للتعايش بين العرب واليهود في فلسطين.

توفي أينشتاين، وحُرِق جثمانه في مدينة (ترينتون) في ولاية (نيو جيرسي) في ١٨ أبريل ١٩٥٥، ونُثِر رماد الجثمان في مكان غير معلوم، وحُفظ دماغ العالم أينشتاين في جَرَّة عند الطبيب الشرعي (توماس هارفي) الذي قام بتشريح جثته بعد موته.

إن المجرم اليهودي مجرمٌ لا بسبب يهوديته، وإنما بسبب انتمائه لمجتمع معين، ولذلك نسمع عن المافيا اليهودية في أميركا، بينما لا نسمع عن المافيا اليهودية في اليمن؛ لأنه يوجد مافيا في أميركا، ولا توجد مافيا في اليمن...وهكذا.

أمَّا النموذج الثالث فهو نموذج الجماعات الوظيفية، وهي جماعة يستوردها المجتمع من خارجه، أو يُجنِّدها من داخله، ويوكل لها وظيفة محددة، ويعرفها في إطار هذه الوظيفة لا في إطار إنسانيتها الكامنة، وبالتالي علاقته بهذه الجماعة تصبح علاقة تعاقدية، باردة، حيادية، يمارس أعضاء الجماعة الوظيفية دورهم مع الإحساس بالغربة، والمجتمع يبعدهم عنه.

فالمماليك مثلًا جماعة وظيفية، استوردهم المجتمع المصري من الخارج، وأوكل إليهم وظيفة القتال، وكانوا يعيشون في قصور، لكنهم كانوا بعيدين عن الحكم، لكنهم بعد ذلك استولوا على الحكم، وأصبحوا حُكَّامًا لمصر.

ويوجد أشياء كثيرة من هذا القبيل، أعتقد أن اليهود في الحضارة الغربية كانوا جماعة وظيفية يقومون بالتجارة والربح، وأن المسألة اليهودية هي مسألة هذه الجماعة الوظيفية التي أصبحت بلا وظيفة بعد نشوء البنوك، والدولة القومية التي اطّلعت بهذه الوظائف.

وبما أنَّ الغرب كلَّه يدور في إطار الجماعة الوظيفية؛ فقد قرر أن يحل المشكلة بنفس الطريقة، وهي أن يأخذ هذا الفائض البشري اليهودي ويوطِّنه في فلسطين ليتحوّلوا إلى وظيفة جديدة هي وظيفة الاستيطان، والدفاع عن مصالحه داخل إطار ما أسمِّيه بـ(الدولة الوظيفية)؛ أي الدولة الصهيونية.

مفاهيم مخطئة

أودُّ أن أعود إلى النقطة الأولى في حديثنا عن الموسوعة، وأحب أن توضِّح سيادتك أهم ما قمتَ بتصحيحه -في هذا العمل الموسوعي العظيم- من مصطلحات، ومفاهيمَ مخطئة نعيش في ظلالها.

(●) أعتقد أنَّ أهم ما قمتُ به من تصحيح هو تصحيح مصطلح «أنسنة اليهود».

فهذا فكر متآمر، وأنا أُطلق عليه كلمة فكر تجاوزًا؛ لأنه ليس بفكر، وإنما هو إشاعات يردِّدها البعض، يقولون مثلًا: «الماسونية[٧٤] واليهود»، وعندما قُمْتُ بالبحث؛ لم أجد علاقة بينهما.

أي أنه لا توجد علاقة بين الماسونية واليهود كما يشيع خطأ.

(●) نعم؛ فمثلًا في ألمانيا كانوا يحرِّمون دخول اليهود، ومن أسس الماسونية في إنجلترا أنهم جماعات من البروتستانت[٧٥]

---

[74] **الماسونية أو البنَّاؤون**: معناها الحرفي هو (البناؤون)، وهي عبارة عن منظمة أخوية عالمية يشترك أفرادها في عقائدَ وأفكار واحدة فيما يخص الأخلاق الميتافيزيقيا، وتفسير الكون، والحياة، والإيمان بخالق إلهي، وتتصف هذه المنظمة بالسرية، والغموض وخاصة في شعائرها في بدايات تأسيسها؛ مما جعلها محط كثير من الأخبار والشائعات بأن هذه المنظمة -بسعة انتشارها، وتمكنها من الوصول إلى معظم الحكومات العالمية القوية- هي من تملك زمام قيادة العالم، لذلك يتهم البعض الماسونية بأنها (من محاربي الفكر الديني)، و(ناشري الفكر العلماني).

العلمانيين، وفي أميركا الشمالية يدخل الجماعات الماسونية أعضاءُ البرجوازية المتعلمنة، وينضم إليهم اليهود لا باعتبارهم يهودًا، وإنما باعتبارهم قطاعات بدأت تفقد إحساسها الديني.

فأنا أطرح هذا، وأقول: إنَّ من يود قول غير هذا؛ فعليه أن يقوم بالبحث، وإن أثبت عكس ذلك؛ فأنا على استعداد لتصديق ما يقول.

عظيم... فأنسنة اليهود -كما قلتَ سيادتك- هي إثبات أنهم ظاهرة زمانية تاريخية يمكن التعامل معها.

نعم، هذا صحيح، فاليهود يمكن التعامل معهم سلمًا، أو حربًا.

([75]) البروتستانتية: هي إحدى مذاهب الدين المسيحي. يتواجد نحو ٨٠٠ مليون بروتستانتي حول العالم من بين ٢.٢ مليار مسيحي، ١٧٠ مليون منهم في أميركا الشمالية، و١٦٠ مليون في أفريقيا، و١٢٠ مليون في أوربا، و٧٠ مليون في أمريكا اللاتينية، و٦٠ مليون في آسيا، و١٠ مليون في أستراليا. نشأت على يد مارتن لوثر في ألمانيا وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، تتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى. والبروتستانت هي كلمة معناها المحتجين.

ومن المصطلحات التي صححتها -أيضًا- مصطلح (المنفَى)، فهم يتحدثون عن المنفى، أو الشتات، أو الدياسبورا[٧٦]، أنها كلمات تعني أن إنسانًا قد اقتُلِعَ اقتلاعًا من موطنه، ووُضِعَ في موطن آخر، ومُنِعَ من العودة.

إن كان هذا صحيح فكيف نفسِّر أن الغالبية الساحقة لهذا الشعب المنفي موجودة -الآن- في الغرب، ولا تودُّ الهجرة؟! من الواضح أنه ليس بمنفى، وقد ظهرت بالفعل دراسات تُسَمَّى (دياسبورا المنفى) لا توجد فيها فصول عن أميركا الشمالية سواء الولايات المتحدة، أو كندا، وهما الغالبية الساحقة لليهود؛ بمعنى أن هذه البلاد أصبحت وطنًا قوميًّا لليهود؛ فأسْقَطْتُ كلمة منفى وتحدثت عن أنحاء العالم، وأحب أن أقول: إنني لستُ من دعاة الحرب، ولكني من دعاة السلام المبني على العدل، أمَّا ما يحدث -

---

[76] **الدياسبورا**: كلمة يونانية تعني الشتات، وفي معناها الشامل تعني يهود المنفى، أو الشتات، وتستخدم للإشارة إلى الأقليات اليهودية في العالم الموجودة في المنفي حَسْب التصور اليهودي الصهيوني.

الآن- فهو سلام مبني على الحرب...مبني على الظلم...مبني على توازن القوى، وأرى أن في جنوب أفريقيا حلًا مناسبًا للجميع.

التجربة الأفريقية

نودُّ لهذا الحل صيغة مناسبة تقبل أن تُكَرَّر.

هي مناسبة بالفعل؛ لأنه تم القضاء على الجانب الاستيطاني، والجانب العنصري -هناك- دون إبادة، أو إراقة دماء، ولكن بجهد الأفارقة إلى أن تعب النظام الأبيض، فضغطت عليه النُّظم المختلفة في العالم إلى أن قام بالتسليم، والتسليم -هنا- لا يعني إراقة دماء؛ لأن معظم البيض قد بقي في جنوب أفريقيا يساهم فيها -الآن- دخل الأحزاب القائمة، بل وسيطر على بعض قطاعات الاقتصاد...وهكذا.

أنا أجد أن هذه الصيغة مناسبة لتُطرَحَ على الإسرائيليين وعلى الفلسطينيين، وأعتقد أنها الصيغة الوحيدة؛ لأنها ستؤسِّسُ سلامًا مبنيا على العدل، وهذا ما نتمناه إن شاء الله.

نريد -من سيادتك- في ختام هذه الشهادة أن تعطينا مُلخَّصًا سريعًا تصف لنا فيه هذا العصر الذي تعيش فيه.

هذا العصر هو عصر التعاقد...عصر سريع الإيقاع، لا يسمح للإنسان بأن يحقق إنسانيته، ومن ثَمَّ يجب أن نقف ضد هذا الجانب في هذا العصر...أن نتعايش معه...أن نستفيد منه...أن نؤنسنه أيضًا؛ نريد أن يصبح الإيقاع أكثر بطئًا حتى يُمْكِنُنا أن نتواصل إنسانيًا؛ لأن الإيقاع السريع لا يسمح لنا بأي تواصل إنساني على الإطلاق...يمكن أن ندخل في علاقات تعاقدية، وتراحمية في ذات الوقت بحيث لا يصبح التعاقد هو المجال، أو الشكل الوحيد للتواصل الإنساني.

ختامًا لهذه الشهادة الشديدة الثراء نشكر سيادتك عليها شكرًا جزيلًا.

أنا شاكر جدًا، وسعيد جدًّا بهذا الحوار.

الخاتمة

هذه شهادة ثرية أدلى بها المفكر اليساري المصري عبد الوهاب المسيري، أبحرنا فيها بسفينة معرفته وعلمه في بحر العصر الذي عاشه، ووقفنا في هذه الرحلة عند قضايا هامة سياسية واجتماعية وثقافية ودينية طرأت على هذا العصر، وناقشناها مناقشة موضوعية من وجهة نظر عالمنا ومفكرنا الكبير الذي أشبع نهمنا بآرائه الصائبة، وشهادته الثرية.

الفهرس

الموضوع — رقم الصفحة